الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الدّلالة النفسية في القرآن الكريم وأثرها في تقوية المعنى

قصة نوح عليه السلام نموذجا

مذكرة مقدمـة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها.

التخصص: علوم اللغة

من إعداد الطالبة:

- ناجم جميلة

تحت إشراف الدكتور:

محمد السعيد بن سعد

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ(ة)	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
01	د. إبراهيمي طاهر	أستاذ محاضر (أ)	غرداية	رئيسا
02	د. بن سعد محمد السعيد	أستاذ محاضر (أ)	غرداية	مشرفا و مقررا
03	أ. بلحسن محمد فؤاد	أستاذ مساعد (أ)	غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: (1436 – 1437هـ / 2015 – 2016م)

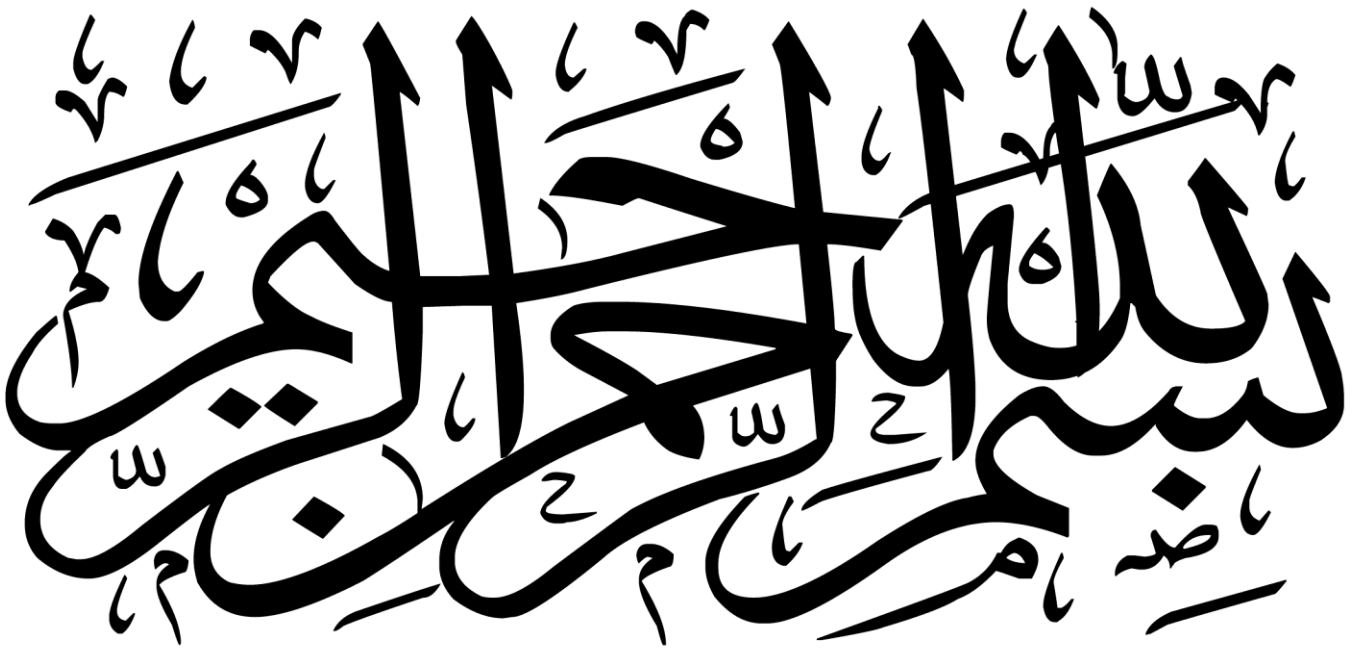
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من زرع فيّ روح العلم والمعرفة والمثابرة، فسِرت على نهجه ودربه

أبي.....فخري وعزّي

إلى من سقت فيّ نبَت الأدب، فنَمت غراسا سامقة يانعة

أمّي.....ربيع قلبي

إلى من أحيا فيّ الهمّة والعزم والنّصيحة، فمَضيْت في هذه الرّحلة العلمية الممتعة

أستاذي القدير: محمد السّعيد بن سعد.....قدوتي وموجّهي

إلى من يسعد قلبي قربها، وسَعَت جاهدة في مساعدتي لإتمام هذا البحث

أختي العزيزة.....مريم

إلى كل من له فضل عليّ وقدّم لي المساعدة من الأهل والأقرباء والأصدقاء

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع، راجِية من الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم

جميلة

شكر وعرفان

إنّ الحَمد لله أولا وأخيرا، الذي منّ عليّ بفضله وبركاته وتوفيقه ما أتممت به هذا البحث، ولطالما لجأت إليه في النائبات فلم يرُدّني، ولطالما طرقت بابه في الشّدائد فكان لي نعم المعين، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو نعم النصير، وبعد:

فإني أتقدم بخالص الشّكر والعرفان ووافر التّقدير والاحترام لأستاذي الدّكتور **"محمد السعيد بن سعد"** الذي أكرمني بعلمه ونصائحه الجليلة، وما بذله معي من جهد وصبر في القراءة والتصحيح والإرشاد إلى طرق العمل الصائب طوال فترة إنجازي لهذا البحث ،وبثّ فيَ روح الثّقة، فجزاه الله خير الجزاء ونفع به الأمّة.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللّجنة المُناقشة على تفضلهم بقبول مناقشتهم لهذا البحث ،أدامهم الله تعالى ذخرا لهذا الدين.

الملخص:

تعتبر الدلالة النفسيّة في القرآن الكريم، تلك الملامح والإشارات التي تنعكس على النّفس الإنسانية فتحدث فيه استجابة معينة، سواء أكانت لفظية أم حركية، إرادية أم غير إرادية، ومن هنا جاءت هذه الدراسة للكشف عن المدلولات النفسية التي تميزت بها النفس الإنسانية في القران الكريم في عيّنة منه على دعوة أحد الأنبياء وهو نوح عليه السلام بسبب تميزه الواضح في دعوته لقومه وما حملته من جوانب وانفعالات نفسيّة، فكان عنوان بحثي (الدّلالة النفسيّة في القرآن الكريم وأثرها في تقوية المعنى (قصة–نوح نموذجا تطبيقيا).

فقد قسمت بحثي إلى مبحثين يتصدّرهما تمهيد و مقدمة.

المبحث الأول كان مبحثا نظريا خصصته لماهية الدلالة النفسية وقسّمته إلى ثلاثة مطالب: الأول منها تحدثت فيه عن مفهوم الدلالة النفسية، أما المطلب الثاني فكان عن العوامل المؤثرة فيها وسيق الثالث لدور الاتصال اللفظي وغير اللفظي في إبراز الدّلالة النّفسية.

أما المبحث الثاني فكان مبحثا تطبيقيا وقسّمته إلى ثلاثة مطالب: الأول للتعريف بالقصة القرآنية والثاني لاستقراء الألفاظ والآيات القرآنية للقصة واستخراج الدلالات النفسية منها، أما الأخير فتحدثت فيه عن أثر الدلالة النفسية في تقوية المعنى.

وذيّلت هذه المباحث بخاتمة، فكانت حصيلة لأهم النتائج المتوصّل إليها من هذا البحث.

Résumé:

la signification psychologique dans le Coran désigne, les caractéristiques et les signaux qui sont réfléchis sur la psyché humaine et provoque 'une certaine réaction, qu'elle soit verbale ou de mobilité, volontaire ou involontaire, d'où cette étude pour faire ressortir les implications psychologiques qui caractérisent l'âme humaine dans le Saint Coran dans un échantillon sur appel des prophètes qui est car il se distingue clairement dans son appel à son peuple avec ce que cela charrie comme émotions et aspect psychologiques de la, était le titre de ma recherche (signification psychologique dans le Saint Coran et son impact sur le renforcement du sens (l'histoire de Noé-modèle appliqué).

La recherche a été divisée en deux parties précédées par une introduction.. la Première partie est théorique elle concerne la signification psychologique et elle divisé en trois chapitre dans le premier on a abordé la signification psychologique

tandis que le second se focalise sur les facteurs qui l'affectent, alors que le troisième est consacré au rôle de la communication verbale et non verbale dans la mise en évidence la signification psychologique.

La deuxième partie est plutôt pratique elle est divisée en trois chapitres: le premier aborde la définition de l'histoire coranique, et le second pour extrapoler les mots et les versets de coraniques et d'en extraire les connotations psychologiques d'entre eux, alors que le dernier a parlé de l'impact de la signification psychologique dans le renforcement du sens.
Notre travail se termine par une conclusion, cette dernière évoque les résultats de notre recherche.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه، و الصلاة و السلام على خير الورى جوهر الحق و ريحانه.

للقرآن وقع خاص في نفوس سامعيه والموسيقى الموجودة في الآيات القرآنية تنعكس مباشرة على نفسية المتلقي وهذه الميزة نجدها كذلك في القصّة القرآنية بوصفها غنية بالمعاني النفسية، لما للقصة من دور في إبراز السلوك الإنساني وما لها من أثر كبير على النفوس ووقع كبير على القلوب وحظ القلوب فيها عظيم ، فلا عجب أن يكون القرآن في المقام الأول من اهتمام الباحثين والدارسين الذين تطرقوا إلى وجوه إعجازه المتعددة والمتنوعة، وما بحثي هذا إلا جزء من ذلك الاهتمام. ومن هذا ارتأيت الحديث عن هذا الإعجاز تحديدا بعنوان الدلالة النفسية وأثرها في تقوية المعنى مُتَتَبِّعَتًا قصة (نوح عليه السلام) باعتبارها نموذجا، مستنطقةً آياتها المباركة لمعرفة ما فيها من دلالات نفسية يمكن أن تبوح بها كلمات الله المقدّسة.

والمؤمل من هذا البحث إدراك المعاني و الأبعاد التي جاءت بها الألفاظ القرآنية فهي تركز على الجانب النفسي للآيات القرآنية والألفاظ، وتسلط الضوء على الأبعاد النفسية من خلال الخطاب القرآني الذي يُشَخِّص الأحداث و يصورها للقارئ، فكل لفظة تعبر عن مدلول نفسي.

أهمية البحث:

وتكمن أهمية البحث من طبيعة الموضوع و الظاهرة التي نعالجها، ومنهج تناوله فنجده موضوع مزدوج بين علم الدلالة وعلم النفس ونأمل أن تسهم هذه الدراسة في تبصير الإنسان بنفسه كما تحقق له نوعا من الحماية من كثير من الأمراض النفسية وذلك ما تحتويه هذه الدراسة من التركيز على الجانب الإيماني وأثره على النواحي النفسية.

-أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في اكتشاف الدلالات النفسية من آيات قصة نوح.
- خدمة كتاب الله والتعمّق في معانيه النفسية التي حوتها نصوص القرآن فالذي يتأمّل في آيات الكتاب يجد أن المدلولات النفسية لهذه الألفاظ لها حضور في كل مشهد، بل في كل آية، فهذا التوزيع للمدلولات النفسية على نصوص القرآن يشير إلى أنه موضوع جدير بالدراسة.
- محاولة الكشف عن حقيقة النفس الإنسانية من خلال هذه الألفاظ فقد كان للنفس الإنسانية حظ كبير من الحديث برز بشكل واضح في أحداث القصص القرآني الذي شهد حضورا أكبر في آيات القرآن الكريم.
- تأثري بالقصة القرآنية واكتشافي أن لها دوراً كبيراً في إبراز السلوك الإنساني وتصوير انفعالاته النفسية.

أهداف البحث:

- تحديد الضوابط و المعايير التي يمكن أن تسلك لدراسة و تحليل السلوك الإنساني .
- لفت النظر إلى الجوانب النفسية والانفعالات التي حصلت لنوح عليه السلام في مسيرته ومدى ارتباطها بعصمته ونبوته .
- دقة التصوير القرآني للآيات و الألفاظ ذات المعاني النفسية.

إشكالية البحث:

وقد سيق هذا البحث للإجابة على الإشكاليات الآتية:

ما المقصود بالدلالة النفسية ؟

وما هي العوامل المؤثرة فيها؟

وما أثر الدلالة النفسية في تقوية المعنى من خلال الوقف على الدلالات النفسية في القصة.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الجوانب النفسية للأنبياء وأقوامهم، ثم استعنت بالمنهج الوصفي بإجراء تحليلي وذلك بتحليل الآيات القرآنية وألفاظها تحليلا نفسيا.

محاولة ربطها بالواقع الذي نعيشه حتى لا تبقى الدراسة النظرية جامدة لا حراك فيها، مع الاعتماد على كتب التفسير القديمة منها والحديثة.

الدّراسات السابقة:

– كما قد تكلم علمائنا عن الجوانب النفسية في ثنايا حديثهم عن القضايا الكبرى المتعلقة بعلوم القرآن منها:

–كتب التفاسير التي أشارت في تفسير الآيات إلى كثير من الجوانب النفسية

–كتاب التصوير الفني في القران الكريم، وكتاب في ظلال القران لسيد قطب. اللذان يحتويان على شرخ النفسي لبعض المشاهد القرآنية.

كما استفدت من كتاب الصورة النفسية في القران الكريم دراسة أدبية للدكتور محمود سليم محمد هياجنة. الذي عكس بصورته جل المعاني النفسية للنفس الإنسانية.

–وكتاب التعبير القرآني والدلالة النفسية للدكتور عبد الله محمد الجيوسي، لتحليله المفصل للآيات والألفاظ القرآنية من الجانب النفسي.

مخطط البحث:

وللإجابة على الإشكاليات السابقة قسمت بحثي إلى مبحثين وخاتمة يتصدرهما تمهيد ومقدمة على النحو الاتي:

–تمهيد: علم الدلالة وأنواعها.

–مقدمة: إشكالية الموضوع.

-المبحث الأول: ماهية الدلالة النفسية

-**المطلب الأول**: مفهوم الدلالة النفسية

-**المطلب الثاني**: الدلالة النفسية والعوامل المؤثرة فيها.

-**المطلب الثالث**: الاتصال اللفظي وغير اللفظي ودوره في إبراز الدلالة النفسية

-المبحث الثاني: استقراء الآيات واستخراج الدلالات النفسية من قصة نوح عليه السلام وتبيان أثرها في المعنى.

-**المطلب الأول**: التعريف بالقصة القرآنية.

-المطلب الثاني: استقراء الآيات واستخراج الدلالات النفسية من القصة

-**المطلب الثالث**: أثر الدلالة النفسية في تقوية المعنى.

-خاتمة

صعوبات البحث:

ومن الصعوبات التي واجهتني في بحثي، قلة المراجع، ففي بداية الأمر كان الموضوع يبدو لي صعبا لكن بعد القراءات المتفحصة استطعت أن أذلّل الصعاب.

واعترافا بالجميل أخص الدكتور المشرف: **محمد السعيد بن سعد** بالشكر والتقدير فقد استطعت بفضله أن أتخطى العقبات ليكتمل هذا العمل على صورته.

وحسبي أنني قدمت هذا العمل راجية أن يكون في المستوى المطلوب، والله المستعان على كل شيء والمرشد للصواب.

تمهيد

أدلى اللّغويون بدلوهم وأفاضوا في الحديث عن علم الدّلالة حيث يعتبر علم الدّلالة من أهم العلوم التي اهتموا بها وذلك ما نراه من تعاريفها وأنواعها.

ففي معجم الصّحاح للجوهري يعرّف علم الدّلالة بأنّه: لفظ «مشتَّقٌ من مادة (دَ.لَ.لَ)، والدّليل ما يستدلُّ به، وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة ودلولة» [1]، أي أرشده.

وجاء في معجم العين: «الدّلالة مصدر دليل بالفتح والكسر» [2]، و "الدّال من حصل منه ذلك والدّليل في المبالغة كعالم وعليم، قادر وقدير ثم يسمى الدّال كتسمية الشيء بمصدره» [3].

أما في الاصطلاح فعرفها الجرجاني: هي «كون الشيء الذي بحاله يلزم مع العلم به بشيء آخر والشيء الأول هو الدّال والشيء الثاني هو المدلول» [4]. ويذكر أحمد مختار بأنها: «دراسة المعنى أو ذلك العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظرية المعنى» [5]، وهو أيضا: "فرع من فروع علم اللّغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في اللّفظ أو الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى» [6]

وفي كتاب المفردات للرّاغب الأصفهاني يقول: «الدّلالة هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرّموز والكتابة والعقود والحساب» [7]. ومن معاني

---

[1] – ابن حمّاد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، 1404هـ-1984م، ج 4، ص 392.

[2] – الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، و إبراهيم السّمرّائي، ج 8، ص8.

[3] – الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط، ج 1، ص 228.

[4] – محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان – بيروت، ط.جديدة، 1985م، باب الدّال، ص 45.

[5] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العلوم، جامعة القاهرة، ط.1، 1985م، ص 11.

[6] – حامد صادق القنيبي، مباحث في علم الدلالة و المصطلح، دار الجوزي، الأردن- عمان، ط.1، 1429هـ-2005م، ص9.

[7] – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، سابق، ص 228.

الدّلالة "المعنى"، وهو عند اللّغويين نفسه علم الدّلالة لأن «اللّغويين لم يفرقّوا بين مفهومي المعنى والدّلالة فبعضهم يسميه علم الدّلالة وتضبط بفتح الدّال أو كسرها وبعضهم يسميه علم المعنى» [1].

ومن هذا نستخلص أن الدّلالة والمعنى لفظان مترادفان لأن الدّلالة دورها إصدار معان وبالتالي هذه المعاني لها أثر كبير عند المتلقي.

والمعنى أنواع منها: «المعنى الأساسي والإضافي والأسلوبي والنّفسي والإيحائي» [2]، وما يهمّني في بحثي هذا هو المعنى النفسي والإيحائي.

ولنتطرّق إلى أنواع الدلالة وتتجلى في:

1) الدّلالة الصوتية: ويقسّمها الكراعين إلى:

أ) دلالة صوتية طبيعية: والمقصود بها تلك الدّلالة التي ترتبط بإحدى نظريات أصل اللّغة، وهي وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ والمعنى.

ب) دلالة صوتية تحليلية: وهي دلالة ترتبط بتغيّر الوحدات الصوتية في اللّفظ فيتغيّر المعنى تبعا لتغيّرها"[3]بالإضافة إلى "النّبر" و "التّنغيم".

2) الدّلالة الصرفية: ويعرّفها أحمد مختار. «هي الدّلالة التي تدرس التركيب الصرفي للكلمات وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها» [4]، كما يعرفها إبراهيم أنيس أنها "دلالة مستمدّة من الصيّغ وبنية الكلمات"[5].

---

[1]– أحمد مختار، علم الدلالة، سابق، ص 11.

[2]– محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح – الأردن، ط.2001م، ص 72–76–77.

[3]– أحمد نعيم الكراعين، علم الدّلالة، المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت، ط.1، 1413هـ – 1993م، ص 96.

[4]– أحمد مختار، علم الدلالة، سابق، ص 15.

[5]– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، ط.5، ص 47.

3)الدلالة النحوية (علم الدلالة التركيبي): ويعرّفه الكراعين بأنه: «النَّسَبْ أو العلاقات القائمة بين مواقع الكلمات في الجملة» [1].

4) الدلالة المعجميّة: وهي: «تلك الدّلالة أو المعاني المتعددة التي يوردها المعجم للألفاظ المفردة المرتبة ترتيبا معينا في لغة واحدة أو أكثر» [2].

ومن خلال هذه الأنواع المذكورة سأحاول من ضمنها اكتشاف المعاني النفسية الصادرة من النفس الإنسانية، وهذا ما سأبيّنه في البحث إن شاء الله.

5) الدّلالة الاجتماعية أو السياقية: وهي: «تلك الدّلالة التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع من خلال الحدث الكلامي تبعا للظروف المحيطة..... فاللغة ظاهرة اجتماعية والإنسان أو الفرد داخل المجتمع يحدد دلالات ألفاظه أثناء استعماله لمفردات اللغة تَبَعًا للمقام الذي يتواجد فيه» [3].

فقد قُسِّمت الدّلالة السياقية إلى أربع شعب وتشمل: «السياق لغوي، السياق عاطفي، السياق موقفي، السياق ثقافي»[4].

[1]- الكراعين، علم الدلالة، سابق، ص 98.

[2]- الكراعين، علم الدلالة، سابق، ص 103.

[3]- المرجع نفسه، سابق، ص 100.

[4]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، سابق، ص69

المبحث الأول

ماهية الدّلالة النفسية

المطلب الأول: مفهوم الدلالة النفسية

تقدّم الحديث عن مفهوم الدّلالة وهو العلم الذي يدرس المعنى، ولنتطرق الآن إلى مفهوم مصطلح "النفسية".

يعود "مصطلح النّفسية" نسبة إلى النّفس، بحيث تطلق النّفس على «الرّوح والذات والدم..»[1].

ويُعرّف الجرجاني النّفس بأنّها: «الجوهر البخاري اللّطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسمّاها الحكيم الروح الحيوانية فهو جوهر مشرف للبدن» [2].

أما النفسية فتعني: «كل ما ينسب إلى النفس من قول وفعل وعملٍ أو عدم عمل سواءً أَكَانَ إراديٌّ أم غير إِرَادِيٌّ ظاهرا أم باطنا» [3].

كما يعرّف الغزالي الظاهرة النّفسية بأنّها: «كل تغيير يطرأ على أحوال النّفس ويكون معبرا على نشاطها وحيويتها سواء أكان دينيا أم دُنْيَوِيًا، ويشير إلى الظاهرة النّفسية الشّعورية أي نشاط الإنسان ككائن حي يشعر أنه حي ويعلم أنه يقوم بنفسه بأمور ليست مادية ولكنها معنوية كالتفكير والشعور بالغضب أو السرور أو الألم أو الإقبال على شيء أو الإحجام عنه» [4]، وبما أن الظاهرة النفسية هي كل حركة أو فعل ينبعث من الإنسان فهي إذن سلوك إنساني يعبر عن الحالات النفسية من عواطف وانفعالات وهذا يسهل علينا التعريف بالدّلالة النفسية.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، المجلّد السادس، ص 235.

[2]- محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، سابق، ص 106.

[3]- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني و الدلالة النفسية، سابق، ص 41 - 42

[4]- عبد الكريم عثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين (و الغزالي بوجه خاص)، مكتبة وهبة للنشر، ط.2، 1401هـ - 1981م، ص 19.

– **الدّلالة النفسية:** يعرفها محمد عبد الله الجيوسي بأنها: «تلك الملامح والإشارات التي تنعكس على النفس الإنسانية فتحدث فيه استجابة معينة، سواء أكانت لفظية أم حركية، إرادية أم غير إرادية ويتمثل هذا في أفكار الإنسان ومشاعره، وأحاسيسه وميوله، ورغباته وذكرياته وانفعالاته» [1]، وهي كذلك: «ما يمكن أن يظهر من اللفظ من دلالات ثوان لا تقتصر على شخص بعينه، إنما تظهر لغير واحد من المتأملين في هذا اللفظ أو ذاك» [2]. أي أن هذه الدّلالة تعكس ما بداخل نفس الإنسان سواء أكان متكلّما أم مُتَلَقِيًا حيث تكشف عن حقيقته المُخْتَبِئَة من خلال اللفظ أو الملامح أو الإشارات (كاحمرار الوجه أو القلق أو تغيير في السلوك وغير ذلك).

فقد نجد هذه الألفاظ والملامح والإشارات واضحة في كتاب الله تعالى في قوله ﴿**وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ**﴾التوبة [92]

فهذه الآية نزلت خِطَابًا للرّسول صلى الله عليه وسلم «لجماعة جاءت إليه تسأله حملهم إلى الجهاد فردّ عليهم بقوله (**لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ**)، فما كان منهم إلا الرجوع بقلب مفجوع في قوله (**تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ**) فهنا جاء التعبير عن سيلان الدمع للحزن الذي يكمن في صدورهم لعدم حصولهم على ما يريدون.

ولو نظرنا من منظور علم النفس لوجدنا أن الدّلالة النفسية: «سلوكا متباينا من شخصياتها كالتبرير والإسقاط والكذب والغيرة والقلق والإحساس بالذنب، ونحو ذلك من الحيل النفسية اللاشعورية التي يلجأ لها الإنسان في معاملاته النفسية، والتي يسميها علم النفس "آليات عقلية"

[1]– عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 42.

[2]– محمد جعفر محيسن العارضي، الدّلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، مذكرة دكتوراه، إش: حاكم مالك الزيادي، كلية الآداب بجامعة القادسية، 1423هـ – 2002م، ص 15.

يغالب بها المرء إحباطه وقلقه وتوتره الناشئ عن فشله، وهو يحاول تحقيق رغباته» [1]. أي أن هذه العواطف والمخاوف المختلفة في نفس الإنسان تظهر من معاملاته ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾سورة البقرة الآية [8-9-10]

فهذه الآية كشفت لنا حقيقة المعاملات النفسية اللاشعورية للمنافقين والمتمثلة في ادعائهم للإيمان وهذا دليل على كذبهم وخداعهم لأنفسهم بدون شعور خوفا من الأذى والجبن على احتمال الشدائد وذلك لتحقيق رغباتهم النفسية المتمثلة في تتبع هوى النفوس و استجابتهم للمحرم من العواطف والغرائز.

ويشير عبد الله محمد الجيوسي في دراسته إلى أن الدلالة النفسية "تشمل العمليات العقلية التي تقوم على استدعاء الأفكار والتخيل لها إضافةً إلى المشاعر الانفعالية المختلفة التي يراد نقلها إلى ذهن السامع» [2]. فهي بهذا المفهوم تقابل مفهوم التصوير في القرآن الكريم عند سيد قطب، يقول: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية» [3] أي " أي أن للصورة أهمية بالغة في ما تحدثه في معنى من المعاني بخصوصية التأثير في ذهن المتلقي وذلك لاعتبارها وجها من أوجه الدلالة.

[1]- علي طاهر عبد السلام، القصص القرآني (دراسة لأسلوب القصص القرآني)، قصة يوسف عليه السلام نموذجا، ص 13.

[2]- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 59.

[3]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق للنشر، القاهرة، ط.10، 1408هـ – 1988م، ص 38.

من خلال هذه التعاريف نستخلص أن الدلالة النفسية هي الدلالة التي تؤثر في نفسية المتلقي ويكون ذلك من خلال المعاني التي يصدرها المتكلم، سواء أكانت إرادية أم غير إرادية، والمتمثلة في العمليات العقلية كالتفكير، والعمليات الانفعالية (حبّ ،كره، عواطف، عتاب،...)، لما لهذه المعاني وعوامل تؤثر فيها، وهذا ما سأقف عليه في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: الدلالة النفسية والعوامل المؤثرة فيها .

إن للدلالة النفسية موقعا من اللفظ المنطوق، إذ أنَّ «إدراكها أو فهمها عند المتكلم والمتلقي متفاوتة كتفاوت الناس في أذواقهم من حيث الطعام أو اللباس مثلا، وهذا التفاوت في إدراك المعاني النفسية يمكن إرجاعه إلى عوامل منها ما تتعلق بالمتكلم، ومنها ما تتعلق بالمتلقي، ومنها ما تتعلق بالمتكلم وبالمتلقي معا» [1].

2-1 العوامل المتعلقة بالمتكلم: وتشمل:

أ) **صوت المتكلم**: حيث يعتبر الصوت «عنصرا لغويا يؤدي دورا هاما وبارزا في الوصول للمعنى العمومي لما هو مسموع أو مقروء، وتعد العوامل الصوتية واحدة من الركائز التي يعتمد عليها علم المعاني» [2]،ومثال ذلك قولنا: "بارك الله فيك"، فهذه العبارة تحمل معان نفسيّة كثيرة فلا يمكن لمتلقّيها معرفة دلالتها إلا من تحديد نبرة الصوت و مناسبة قولها إما بغضب أو فرح أو لمدح.

ب) **العوامل الصرفية**: يوظّفها المتكلم في كلامه مستعملا فيها صيغ المبالغة كَتَفَعَّلَ، وفَعَّلَ، واستفعل ومنها قوله تعالى ﴿**قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا**

[1]- ينظر: عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 60-61.

[2]- أحمد حمو مزعل، علم الدلالة، علم المعاني والإدراك الصوتي، بحوث ودراسات منوعة، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، ص 1.

﴿فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ سورة الملك آية[9]،«أي أجاب الكفار قائلين: بلى جاءنا رسول من عند الله ربنا، فأنذرنا وخوّفنا لكنا كذبنا ذلك النذير، وقلنا له: ما نزّل الله من شيء على لسانك» [1].

فالملاحظ من قولهم "كذّبنا" و "نزّل" جاء على صيغة المبالغة "فعّلنا" و"فعّل"، فاستعمال صيغ المبالغة تشير إلى مؤكدات نفسية الواضحة من قول الكفار للدّلالة على ندمهم لتكذيبهم المستمر ومن ذلك قوله تعالى على لسان العبد الصالح عليه السلام ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ سورة الكهف الآية [82].«فحذف حرف التاء من لفظ "تسطع" يشير إلى ملحظ نفسي إذ بعد أن فسر العبد الصالح لموسى عليه السلام أسباب ما فعله في رحلته بدت واضحة في ذهنه بعد أن كان فهمها ثقيلا عليه فناسي حذف ذلك الحرف خفّة»[2].

ويأتي الحذف كذلك في الفعل أو الاسم أو الخبر... وكل هذا يؤدي بنا إلى اكتشاف المعاني النفسية.

ج) **العوامل النحوية:** إذ على المتكلم «مراعاة الجانب النحوي أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة» [3] مستعملا فيها التقديم والتأخير والحذف والذكّر...) مما لها من معان نفسية كثيرة تبدو واضحة من سياق الكلام والألفاظ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ سورة الضحى الآية [9].

فالملاحظ من هذه الآية أن الله قدم اليتيم حتى يجعل اهتمام المتلقي مُنْصَبًّا إلى العناية باليتيم في حد ذاته.

---

[1]- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق- لبرامكة، ط.1، 1430هـ – 2009م، مج 15، ج29، ص17.

[2]- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 314.

[3]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، سابق، ص 13.

د) عوامل بيانية متعلقة بنظم الكلام: لقد أشار الجرجاني إلى دور النُّظُم في بيان المعاني، يقول: «إعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى، ومأخذ إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أَخْلَقْ، وكان السمع له أوعى والنفس إليه أَمْيَلْ، وإذا كان الشيء متعلقا بغيره ومقيسا على ما سواه كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الإفهام وتقريره في النفوس أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويُؤْنَسُ به» [1].

يشير الجرجاني إلى بلاغة الألفاظ، أي البيان الواضح والجلي القوي والمتناسق في النظم وذات الاستعمال الدقيق والفهم القريب الذي تميل إليه النفوس من خلال التأثير فيها.

ومن العوامل البيانية المتعلقة بنظم الكلام نجد التقديم والتأخير كذلك، قوله تعالى على لسان زكريا ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي**﴾ سورة مريم الآية[4]، فالملاحظ من كلمة « "مني" آخر هذه الآية يشعرنا بتناسق موسيقي أخاذ في ترتيب الكلمات، فالنسق يُبْنَى على تَرَتُّبْ لا يصلح فيه التقديم والتأخير، فلو حاولنا أن نُغَيِّرَ وضع كلمة "منّي"، فنجعلها سابقة لكلمة العظم فنقول (قال رب إني وهن مني العظم) لأحسسنا خللا في التناغم اللفظي، ذلك أن "مني" تتوازن مع "إني" في صدر الفقرة ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي**﴾ وهو الأسلوب المناسب الرقيق في استرحام الله واستجلاب عَطْفِه» [2].. كذلك نجد لاستعمال الجمل الحالية دورا في إبراز المعاني النفسية كقوله تعالى: ﴿**وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ**﴾ سورة يوسف الآية [16]، فالعشاء: وقت غيبوبة الشفق الباقي من بقايا شعاع الشمس بعد غروبها، و البكاء: خروج الدموع من العينين عند الحزن والأسف والقهر وجملة "يبكون" جاءت حالية لاصطناعهم البكاء تمويها على أبيهم لئلا يظن بهم أنهم اغتالوا يوسف ولعلّهم كانت

[1]- عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرسالة الشافية، تح: محمد خلف الله أحمد، دار المعارف – مصر، ط.3، ص 117.

[2]- سمر أرتاؤوط، قبسات من روائع البيان، سورة مريم، ص vb.tafsir.net.1

لهم مقدرة على البكاء مع عدم وجدان وجوبه"[1]. فمن هنا نستنتج دلالة نفسية واضحة من خلال نفسية إخوة يوسف عليه السلام.

ونرى في قوله تعالى ﴿**أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**﴾ البقرة الآية [44]، ففي هذه الآية " تنديد بحال أَحْبَارِهم أو تعريض بأنهم يعلمون أن ما جاء به رسول الإسلام هو الحق فهم يأمرون أتباعهم بالمواعظ ولا يطلبون نجاة أنفسهم، إذا جملة " أتأمرون الناس "جملة حالية استفهامية قائمة على التوبيخ ويتولد منه معنى التعجب من حال المُوَبَّخْ وذلك لأن الحالة التي وُبِّخُوا عليها عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النفس منه» [2].

فمن خلال هذه التفسيرات للآيات القرآنية نستنتج أن للجمل الحالية دورا في إبراز المعاني النفسية التي تصحب اللفظ، والتي بدورها تبرز لنا المشاعر الداخلية للنفس الإنسانية.

2-2 العوامل المتعلقة بالمتلقي: يكمن تفاوت المتلقي في إدراكه للدّلالة النفسية من قوة وعيه وخبرته الحياتية والثقافية فكلما زاد وعيه وخبرته في الحياة زاد فهمه وسرعة استيعابه لتلقّي المعاني النفسية فالمتلقي "يتميز بسرعة الإدراك والتفاعل والاستجابات الحسّية من المتكلم، كما يتمكن من تلمّس أبرز الأوصاف الدّاخلية التي تميّز الشخصية من (مكر وقوة، وشوق، وحنين) " [3]، فالناس متفاوتون بطبيعتهم و مختلفين في قدراتهم و هذا ما يشير إليه سيد قطب في قوله: "ليس الناس سواءً في تجاربهم الحسية والنفسية في الحياة، فبعضهم ولا شك أغنى من بعض في رصيد هذه التجارب، وأسباب الغنى والفقر في هذا الرصيد كثيرة ومتنوعة، فقد ترجع إلى سمة الطبيعة النفسية أو وظيفتها وقوتها أو ضعفها وتعمقها أو سطحيتها، وقد ترجع إلى اللون الذي تصطبغ به هذه الطبيعة، فتهشّ

[1]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، ج2، ص 236.

[2]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج1، ص 474 – 475.

[3]- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، دار فارس، عمان ،ط 2، 2005م، ص 79.

لهذا اللون من الإحساس أو ذاك وتنفتح لمظاهر من الحياة دون الأخرى، كما تنفتح لمظاهر الضخامة والعنف والجموح في الكون.... » [1]، ويقول محمد يونس علي: «وعندما يوضع الخطاب بين يدي القارئ أو السّامع، فإنه يتعامل معه بطريقته الخاصة في الفهم، مستعين في ذلك بثقافته وتجاربه وأحواله الخاصة التي ينفرد بها عن غيره، وإن كانت في معظمها مشتركة بين أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه لغويا وهو ما يعطي لفهمه صيغة موضوعية إلى حد ما، ويعلق الرمزيون على وجه الخصوص آمالا كبيرة على المتلقي حرصا منه على أدائه دوره الإيجابي في عمليات الفهم والتّفسير والتأويل والاستنتاج» [2]ومعنى كل هذا أن المتلقي يعتمد على فهم الرموز التي تحتوي على الإيحاء والإيماء والإشارات وذلك للكشف عن الجوانب النفسية المستترة.

2-3 العوامل المتعلقة بالمتكلم وبالمتلقي معا: فمن المعروف أن «المتكلم أو المرسل هو الذي يُسَنِّنْ رسالة ما سواء أكانت ذهنية أَمْ وجدانية ليُرسلها إلى المتلقي ليقوم بدوره بتفكيكها في ضوء سُنَنْ مشترك أو لغة يعرفها كل من المرسل والمرسل إليه» [3].

ولسياق المتكلم «دور كبير في إبراز تلك الدلالة النفسية، أما بالنسبة للمتلقي فإن اختلاف الجو المكاني والزماني يؤثر سَلْبًا أو إيجابا في إدراك هذه المعاني » [4]. ومن هذه العوامل التي تؤثر في المتكلم والمتلقي:

أ) **البيئة:** وهي كل ما يحيط بالإنسان وماله من تأثير على نفسيته وهذا ما أشار إليه علم النفس البيئي «بأنها تشمل المتغيرات المحيطة بالفرد في لحظة ما، تلك المتغيرات أو العوامل التي تؤثر في سلوكه في تلك اللحظة تأثيرا يمكن قياسه وتقدير آثاره» [5].أي أن هذه المتغيرات تظهر عند الإنسان

[1]- سيد قطب، مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية، النقد والفن، الموقع : www.aldohamagazine.com

[2]- محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى(أنظمة الدلالة في العربية) ،دار المدار الإسلامي 2007م، ط.2،2007م، ص156.

[3]- جميل حمداوي، ثلاث نظريات النقد الأدبي (في مرحلة ما بعد الحداثة)، شبكة الألوكة، ص 309.

[4]- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 64.

[5]- عبد الرحمان محمد العيسوي، في علم النفس البيئي، منشأة المعارف بالإسكندرية، تح:1997م، ص14.

من خلال تعايشه وارتباطه بأحوال الطقس المتغيرة من حيث البرودة والحر أو بتغيرات الفصول (كالربيع والخريف.....). وبالتالي تصبح هذه العوامل مثيرة لنفسية كل من المتكلم والمتلقي بالإضافة إلى «العنصر الغذائي السيئ الذي يكون سببا في رغبة النفس عن القول وهروب المعاني وتعصّي الألفاظ» [1]، أي يظهر أثره من المتكلم على المتلقي من حيث عدم الاستيعاب والفهم لهذه الألفاظ.

ب)العامل الزمني :وهو كذلك من العوامل المؤثرة في النفس فقد «يمتلك الإنسان في اليوم الواحد أحاسيس متناقضة ومتضاربة بحسب معطيات الزمن الطبيعي أو النفسي وهذا التقلب والتحول يتم عبر الزمان» [2].ويقول الجيوسي« تكون النفس أكثر صفاء عند الاستيقاظ من النوم، وأكثر انشغالا وتشويشا في فترة النهار» [3]، أي أن الإنسان بالرغم من المتاعب التي تواجهه في حياته اليومية إلا أن نفسيته تكون أكثر هدوء عند كل صباح مما تجعل أفكاره تتجدد.

ج)كيفية الكلام :فاستعمال المتكلم للمعاني المبهمة قد يستصعب على المتلقي أو السامع فهمها مما يؤثر سلبا على نفسيته ،ولهذا يجب على المتكلم تعديل طريقة كلامه حتى تكون أشد تلاؤما وهذا ما أشار إليه الخطابي في باب التلاؤم قائلا: «والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللّفظ، وتقبّل المعنى له في النفس لما يَرِدُ عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة»[4].

كما على المتكلم الابتعاد عن اللّحن وتنافر الحروف لتَسهُل عملية التلقي للمعاني ومن هذا تقول فاطمة البريكي: «الكلام إذا كان متنافراً في حروفه وألفاظه سقط عن درجة البلاغة لأنه تسبب في نفور القلوب، وإذا نفرت القلوب من التأليف بعدت عن تلقي المعاني، ومثل ذلك رجل أثقف

---

[1]- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 64.

[2]- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية (نقد أدبي) ،المؤسسة العربية ، بيروت، دار الفارس، عمان، ط.1، 2004م، ص16.

[3]- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص65.

[4]- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ثلاث رسائل في إعجاز القران (من بيان إعجاز القران) ،دار المعارف بمصر، ط.3،ص 96.

ألفاظه ومعانيه بكلام فيه ضروب من الخطأ واللحن، فهو إذا ورد على الأسماع فرت منه القلوب اسْتِبْشَاعًا لما فيه» [1].

ومن هذه العوامل السابق ذكرها والمتعلقة بكلام البشر يتبين لنا خلالها كيفية استخراج الدلالات النفسية من الألفاظ القرآنية، مع العلم أن النصوص القرآنية أفصح وأبلغ، و«سالمة من العيوب السابق ذكرها والتي تؤثر سلبا على إدراك المعاني النفسية» [2]. لدى المتلقي.

وفي ختام هذا المطلب استنتج أن للدلالة النفسية عوامل مؤثرة فيها، سواء أكانت متعلقة بالمتكلم أم بالمتلقي أم بكليهما، والتي ستساعده على محاولة استقراء المعاني النفسية وسهولة اكتشافها .

المطلب الثالث: الاتصال اللفظي وغير اللفظي ودوره في إبراز الدلالات النفسية

تتعدد وسائل الاتصال التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن مقاصده وأغراضه الفكريّة أو العاطفيّة من خلال مستويين: لفظيّة وغير لفظيّة، كما لها حضور في بعض الآيات القرآنية التي بدورها تؤدي بنا إلى اكتشاف دلالات نفسية ومدى تأثيرها في النفس.

1)الاتصال اللفظي: هو «الاتصال الذي يتم عن طريق استخدام اللفظة المنطوقة» [3]، المكونة من الألفاظ أو الكلمات الصادرة عن الإنسان من كلامه حتى يعبر بها عن مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته المختلجة في النفس وقد تكون هذه الألفاظ أو اللغة المنطوق بها إرادية أو غير إرادية، كما جاء على لسان زكرياء في قوله تعالى ﴿ **وَوَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا** ﴾ سورة مريم

[1] - فاطمة البريكي، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار العلم العربي ،ط.1،2006م، ص 205.

[2]- عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية ،سابق ، ص 66.

[3]- أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، نابلس، فلسطين، 2010/10/20 م، ص 286.

الآية [5]، فالملاحظة من الآية أن زكرياء استعمل صيغة الطلب حيث قال "هب لي" ولم يختر لفظا آخر أو صيغة أخرى "كارزقني" أو "اعطني» [1].

فمن هنا يتبين لنا أهمية هذه اللفظة في الكلام حيث بدورها تعبر عن تعجب في كونه أصبح شيخا وامرأته عاقر.

«فألفاظ القرآن الكريم لا تنتهي دلالتها بمجرد الكلام عن ظاهر المعنى فيه لامتلاكه فضاءات واسعة للتأمل والغوص في باطنه حتى يميل القارئ معه على معاني نفسية وعاطفية جديدة لا تبتعد عن السياقات التي ترد فيها الألفاظ ولا تناقض كليا مع ما قيل في دلالة هذه الآية القرآنية أو تلك فضلا عن القول بأن العناصر العاطفية والانفعالية جزءًا لا يتجزّأ من النظام اللغوي» [2]. فالتواصل الإنساني اللفظي لا يتم بمعزل عن وسائل التعبير الأخرى ألا وهي الوسائل غير اللفظية.

2) الاتصال غير اللفظي: وهو «الرسائل التواصلية الموجودة في الكون الذي نعيشه، ونتلقاها عبر حواسنا الخمس، ويتم تداولها عبر قنوات متعددة وتشمل كل الرسائل التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية والتي تُعتبر من ضمن بنيتها وتتجلى رسائل الاتصال غير اللفظي عبر سلوك معين، وتعبيرات الوجه، ولإيماءات وحركات الجسد .... إلخ» [3].

«فالتعبير بغير اللفظ لا يقل أهمية عن التعبير باللفظ ولكنه في بعض الأحيان يكون أبلغ لارتباطه بالصمت لأن الأخير أبلغ من الحديث وهو وسيلة للتعبير غير لفظية يؤدي دوره في نقل الدلالة النفسية» [4]، في قوله تعالى: ﴿.....**قَالَ أَنَاْ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي**

[1]- عقيل عكموش عيد، الدلالة النفسية في سورة مريم، جامعة القادسية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (3-4) المجلد (6) 2007، ص 77.

[2]- عقيل عكموش عيد، الدلالة النفسية في سورة مريم، مرجع سابق، ص 73.

[3]- محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ط 1، 2003م، ص 40.

[4]- ينظر: عبد الله محمد جيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، مرجع سابق، ص 68.

بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾سورة البقرة الآية [258] . « فَبُهِتَ بمعنى أعجزه عن الجواب فعجز أو فاجأه بما لم يعرف» [1]، وجاء البهت في هذه الآية دالا على حالة نفسية من سكوت وحيرة أصابت الكافر عند خصامه مع النبي.

ووسائل الاتصال غير اللفظية لا تتوقف عند الصمت بل هناك وسائل أخرى للتعبير وهي ما يطلق عليها لغة الجسد، وتصدر هذه التعبيرات من الإنسان وقد تكون شعورية أو لا شعورية ومنها:

- **نظرات العين:** وتشمل «السلوك الروتيني الذي تقوم به العين عندما تفتح والإيماءات التي ترمز عبر العين والنظرات المعتمدة والنظرات العجلى، وإطالة النظر وتحاشيه، وفقدان القدرة على الإبصار وسلوك الرمشين أثناء النظر، ورقرقة العين بالدموع.... إلخ» [2]،فهذه السلوك بدورها تسهل على المتلقي اكتشاف الجوانب نفسية من نظرات الإنسان.

«وبالنظر في القرآن الكريم نجد أنه تحدث عن لغة العيون، والمعاني التي تدل عليها النظرات الإنسانية، فقد ورد في القرآن الكريم بعض الحركات الصادرة عن العين، بلفظ العين نفسه، وجاءت في مواقع أخرى بألفاظ دالة على وظائف العين مثل: النظر والبصر» [3]، ومنها:

أ)**العين الخائنة:** قال تعالى: ﴿ **يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ** ﴾ سورة غافر الآية [19].

فالله «يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر.»[1]

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير والتحرير والتنوير، ج 3، ص 34.

[2] – محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 81.

[3] – أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 29.

ب) **العين الحاسدة:** في قوله تعالى: ﴿**وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ**﴾ سورة القلم آية [51] ، فالآية الكريمة "تكشف عن نفسية الكافرين وخباياها وخفاياها ، وتكشف عن حقد ولؤم، وغيظ عنيف، وحسد عميق، ينصب من نظراتهم المسمومة الحاقدة الحاسدة مصحوبة بالشتم البذيء والافتراء الذميم" [2].

ج) **العين الطامعة الراغبة:** في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ سورة طه آية [131]، فمدّ العين في هذه الآية جاء كناية عن النفوس الطامعة.

د) **العين الدائرة الخائفة:** في قوله تعالى: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا** ﴾سورة الأحزاب آية [19].

"وجملة "تدور أعينهم" حال من الضمير "ينظرون" لتصوير هيئة نظرهم نظر الخائف المذعور الذي يحدّق إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها" [3]، ففي هذه الآية نلتمس دلالة نفسية صادرة من انفعالات الكفار المتمثلة في اضطراب نفوسهم وقلقهم وفقدانهم لوعيهم من شدّة الخوف.

---

[1]– أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1418 هـ – 1997م، ج 3، ص 137.

[2]– محمود سليم هياجنة، الصورة النفسية في القران الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن–جدار للكتاب العالمي، عمان–الأردن، ط.1، ص 71–72.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 21، ص 297.

هـ)**الأبصار الخاشعة:** في قوله تعالى: ﴿**خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ** ﴾ سورة القلم آية [43].وفي هذه الآية تتراءى لنا دلالة نفسية واضحة جلية تكشف نفوس هؤلاء الكفار من أبصارهم نتيجة ما كانوا عليه من حقارة واستهزاء.

و) **النظرة الخفية:** في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ...** ﴾ سورة الشورى آية [45]. أي "تراهم يسارقون النظر إلى النار خوفا من مكارهها"[1] فالنظر من طرف خفي يعبر عن حالة الظالمين وما أصابهم ذل وخوف، وهذه الحالة تعتبر دلالة نفسية واضحة من حركة العين.

ز) **العين الباكية:** في قوله تعالى: ﴿**وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ** ﴾سورة يوسف آية [16]. فيصف لنا الله حالة إخوة يوسف وهم يبكون، فالبكاء هنا جاء إراديا أي يبكون بإرادتهم.

أما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ...**﴾سورة المائدة آية [83]،أي "فاضت أعينهم من انفعال البهجة لما عرفوه عند سماع القرآن من أنه الحق الموعود به" [2]، فسيلان الدمع يعتبر بكاءً لا إراديًّا وذلك تعبيرا عن انفعالهم وخوفهم من الله.

فنظرات العين بصفاتها لا تتوقف عند النظرات السابقة ذكرها، ففي كتاب الله تعالى تعبيرات أخرى عن العيون، كالعين المزدرية في قوله تعالى: ﴿...**وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن**

[1] – مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، التفسير الوسيط للقران الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مج من(8–10)، ص 769.

[2] – ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 7، ص 10.

﴿يُؤَتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة هود آية [31] ، والأبصار الزائغة، ونظر القلق والذهول ... الخ.

- **ملامح الوجه:** "والوجه هو المرآة التي تعكس ما يختلج في النفس البشرية من أفكار وما يعتري الإنسان من عواطف" [1]، كحالات الفرح والحزن والعبوس والندم والخوف وغيرها من الحالات.

أ) **الفرح:** (كالضحك والبشارة) وهي من الحالات النفسية التي يتم التعبير عنها بالوجه، في القرآن الكريم وهي من ألفاظ التلذذ، فالضحك: "ممارسة نفسية ظاهرة غير محددة الدافع فقد يكون الفرح أو الحزن دافعها" [2] دلالة على السرور، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ سورة التوبة آية[82].

أما البشارة: "سرّ ونقول أبشر بخير" [3] كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ... ﴾ سورة الأنفال آية [10]، فجاء لفظ "بشرى" في الآية تعبيرا عن الاستبشار بالخير واطمئنان القلوب.

وقولة تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ سورة يوسف آية [96] ، فجاء لفظ البشير في الآية "ليحكي الاختلاجات النفسية والشعورية إذ يوحي بتوقع مجيء هذا البشير، وأنه لم يفاجأ به، إلا أنها تحمل دلالة على استطالة انتظاره" [4].

---

[1]– أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 46.

[2]– محمد جعفر محيسن العارضي، الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، سابق، ص 254.

[3]– محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ط.1، ص 142.

[4]– محمد جعفر محيسن العارضي، الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 254.

ب) الحزن: وهو "انفعال مضاد للفرح والسرور"[1] في قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ**﴾ سورة يوسف آية [86]،وقوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ**﴾ سورة يوسف آية [84]، فالآيتان تشيران إلى حالة يعقوب لشدة حزنه وبكائه على يوسف، والوصف بالحزن جاء معبرا على حالته النفسية.

ج) العبوس: قوله تعالى: ﴿**تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ**﴾ سورة المؤمنون آية [104] "والكلح (كلوح) ، تَكشُّر في عبوس" [2] أي العبوس والتكشير الشديد للوجه وتقطّب أعصابه بسبب الخوف.

د) الخوف: وهو كذلك من الانفعالات التي تظهر من ملامح الوجه وذلك في قوله تعالى: ﴿....**إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا**﴾ سورة مريم آية [58]، فالآية " إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن." "مستأنفة دالة على شكرهم نعم الله عليهم وتقريبه إياهم بالخضوع له بالسجود عند تلاوة آياته وبالبكاء، والمراد به البكاء الناشئ عن انفعال النفس انفعالا مختلطا من التعظيم والخوف" [3] فمن هذا التفسير نلتمس دلالة نفسية واضحة والدالة على خوف المؤمنين وخشيتهم من اللّه.

هـ)الندم: وهو حالة انفعالية تعبر بها الإنسان عن أسفه وحزنه وحسرته، منه قوله تعالى: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ**﴾ سورة الأعراف الآية [23].

---

[1] – محمد عثمان النجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط7،1421هـ–2001م، ص 100.

[2] – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، باب الحاء، سابق، ص 89.

[3] – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 16، ص 133.

وللتعبيرات الوجهية السابقة ذكرها تعبيرات لا إرادية تفهم من السياق كاسوداد الوجه في حالة الهلع والفزع، في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ سورة آل عمران آية [106]، وقوله تعالى: ﴿...**تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**...﴾ سورة يونس [27].

فالآيتان الكريمتان تعبران عن حالة الهلع والفزع الذي صدر من نفوس الكافرين وظهور السواد على وجوههم.

وفي حالات الضحك والاستبشار الدالة على الفرح قوله تعالي: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ** ﴾ سورة عبس [39.38]، فعلامات الضحك والفرح بادية على وجوه المؤمنين لاستبشارهم بالجنة وهذه الملامح لا إرادية صدرت منهم بعَفوية.

- **الحركات الجسمية ومنها:**

أ) **التقليب بالكف (اليد):** في قوله تعالى: ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا**....﴾ سورة الكهف الآية [42]، فالتقليب بالكف حركة جسمية لها مدلول نفسي مصحوب بالتأسف والتحسر على الأموال الضائعة، وجاء في تفسير ابن عاشور «التقليب بالكف حركة يفعلها المتحسر، وذلك أن يقلبها إلى أعلى ثم إلى قبالته تحسرا على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنة» [1].

[1]- ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 15، ص 327.

ب) **حركة اليد مع الفم**: قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾ سورة الفرقان آية [27]، "في هذه الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين حيث يكشف لنا تعالى عن نفسية هذا الظالم الذي عض على يديه حسرة وأسفا"[1]، فاستعمال اليد مع الفم جاء في الآية تعبيرا عما في النفوس الظالمين.

وفي قوله تعالى: ﴿ ....**جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ**....﴾ سورة إبراهيم الآية [9]، "وهكذا نرى أن الكافرين هم من وضعوا أيديهم على أفواههم، وما إن عظوا على الأيدي بالنواجد لأنهم لم يطيقوا تطبيق منهج الله ولم يستطيعوا التحكم في أنفسهم" [2]، فاستعمال الأيدي ووضعها على الأفواه كان تعبيرا عن سخريتهم وإعراضهم عما جاء به رسلهم.

ج) **حركة اليد مع الأذن** في قوله تعالى: ﴿.... **يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ**....﴾ سورة البقرة آية [19]. والمراد بجعل " أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ " بعض الأصابع وليس كلها، فجاء هذا التمثيل تعبيرا عن خوفهم وفزعهم، وامتناعهم من سماع الصواعق، فهذه الانفعالات كشفت لنا الدلالات النفسية الظاهرة من حال المنافقين، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: "ومن يذيع هذا التمثيل أنه ما احتوى عليه من مجموع الهيئة المركبة المشبه بها حال المنافقين حين منازعة الجواذب لنفوسهم من جواذب الاهتداء وترقبها ما يفاض على نفوسهم من قبول دعوة النبي وإرشاده مع جواذب الإصرار على الكفر وذبهم عن أنفسهم" [3].

---

[1]- بن كثير، تفسير القران العظيم، سابق، ج 6، ص 108 .

[2]- محمد متولي الشعراوي، خواطري حول تفسير القران الكريم(تفسير الشعراوي)، الناشر: أخبار اليوم، 1991م، مج 12، ص378.

[3]- ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، سابق ، ج 1، ص 32.

ويقول تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ سورة نوح آية [7].

فجعل المنافقين أصابعهم في آذانهم في هذه الآية جاء تعبيرا عن إعراضهم لسماع دعوة نبيهم نوح عليه السلام وهذا الإعراض يكشف لنا نفسيتهم المنحرفة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ سورة مريم آية [29].

فإشارة مريم بإصبعها كان بمقام الحديث بلسانها.

- **حركة الأرجل (المشي)**: فقد ورد في كتاب الله آيات كثيرة تتكلم عن المشي مما له دلالات نفسية يعبر بها عن حالات المؤمنين والكفار ومنها:

أ) **مشية الحياء**: في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ سورة القصص آية [25].

فمشي المرأة في هذه الآية له مدلول نفسي يعبر عن حالتها النفسية لخجلها وحيائها من النبي موسى عليه السلام.

ب) **القصد في المشي**: قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ سورة لقمان آية [19].

فالقصد في المشي تعبير عن حالة الإنسان المؤدب.

ج) مشية المتكبرين: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا**﴾ سورة الإسراء آية[37] .أي "متبخترا متمايلا مشي الجبارين"[1]، فالكبرياء صفة نجد الإنسان يتعمدها في مشيته للتعبير عن حالته النفسية.

د) مشية تواضع: قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا**﴾سورة الفرقان آية[63] ، فمشية المؤمنين جاءت تعبيرا عن تواضعهم أمام الله وخلقه.

وللحركات الجسمية كالسابق ذكرها تعبيرات أخرى كثيرة ومتنوعة وردت في القرآن الكريم كحركة الرأس بأنواعها وحركة الوقوف والجلوس كما تؤدي هذه الحركات دور كبير في التعبير لإبراز الدلالات النفسية المختلجة في نفوس المؤمنين والكافرين.

وفي ختام هذا المطلب نستنتج أن الوسائل التعبيرية اللفظية وغير اللفظية لها دورا كبيرا في إبراز الدلالات النفسية والتي تظهر لنا من خلال ملامح المؤمنين والكافرين كما تبين لنا ذلك في سياق الآيات الكريمة أن الاتصال اللفظي يشمل اللغة المنطوقة أو اللفظة بينما الاتصال غير لفظي يشمل نظرات العين بصفاتها، والملامح الوجهية والحركات الجسمية بأشكالها، و تطلق على هذه التعابير غير اللفظية في القرآن الكريم ما يسمى بلغة الجسد، وقد تأتي هذه التعبيرات أحيانا إرادية وأحيانا أخرى غير إرادية، تنطلق من جسم الإنسان لتؤدي بدورها نقل الدلالات النفسية وتحريك العواطف الإنسانية والتأثير فيها.

[1] – بن كثير ،تفسير القرآن العظيم، سابق، مج 5، ص 75.

المبحث الثاني

استقراء الآيات واستخراج الدّلالات النفسية من قصة نوح عليه السلام

المبحث الثاني: استقراء الآيات واستخراج الدّلالات النّفسية من قصة نوح عليه السلام وتبيان أثرها في المعنى.

المطلب الأول: القصة القرآنية (قصة نوح عليه السلام).

تعددت أساليب القرآن وتنوعت لهدف إيصال رسالته إلى النّاس فنجده يعتمد على أسلوب الحوار وتارة أسلوب ضرب المثل وتارة أخرى أسلوب التوجيه الخلقي والتربية النفسية بأساليب الاتعاظ والاعتبار والترهيب والترغيب والتّذكير بنعم الله ورحمته وقد أشير إلى هذا في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ سورة الأعراف[176]، وقوله تعالى: ﴿ **لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ** ﴾سورة يوسف آية [111]، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين اعتماد القرآن الأسلوب القصصي.

1)تعريف القصة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: « القصّ هو: هو تتبع الأثر"[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ** ﴾ سور القصص آية [11]، أي قصّي أثره وتتبعيه، وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿ **فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا**﴾سورة الكهف آية [64] ، أي رجعا يقصّان الأثر الذي سلكاه.

والقصة: "الخبر وهو القصص، وقصّ عليّ خبره يقصه قصا وقصصا: أورده، والقصص: الخبر المقصوص، والقِصص، بكسر القاف جمع قصة التي تكتب» [2]، وفي القرآن الكريم سورة القصص.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، سابق، مج 10، ص 74.

[2]- المرجع نفسه، سابق، مج 10 ص 74.

وفي مختار الصحاح للرازي القصة هي: "الأمر والحديث وقد اقتص الحديث، رواه عل وجهه" [1].

أما في الاصطلاح فعرفها سيد قطب بأنها: "وسيلة من وسائل القران الكثيرة إلى أغراضه الدينية وإحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها" [2].

إذن فالقصة هي المتابعة أي التتبع والتقصي. وهي تكامل الأحداث المليئة بالحركة والتي تحمل في طياتها العبرة والعظة، بما فيها من تهديد ووعد ووعيد.

2) ذكر قصة سيدنا نوح في القرآن الكريم:

ذكرت قصة "نوح"* في القران الكريم في كثير من المواضع، "من دعوة نوح مع قومه، و ما أنزل بمن كفر من العذاب بالطوفان، و كيف أنجاه وأصحاب السفينة، وفي غير ما موضع من كتابه العزيز، ففي الأعراف، ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصّافات، والقمر وأنزل فيه سورة كاملة" [3].وقد اعتمدت في دراستي على سورة هود والأعراف وسورة نوح لما فيها من تفصيل ووضوح للقصة.

1) سورة هود من الآية (25 - 49)
2) سورة الأعراف من الآية (59 - 64)
3) سورة نوح كاملة من الآية (01 - 28)

[4] الملحق (1)

[1]- أبي بكر ابن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مج 10، ص 263.

[2]- ينظر: سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن الكريم ،سابق، ص143.

* نوح عليه السلام: هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن برد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيت ين ادم أبو البشر عليه السلام.

[3]- ينظر: ابن الكثير، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، تع: غنيم عباس بن غنيم، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، السعودية، جدة، مكتبة التابعين، القاهرة، ط.1، 1419 هـ - 1998م.

[4]- ينظر: الملحق رقم 1، في آخر البحث.

3) العناصر الفنية في قصة نوح عليه السلام:

من خلال التأمل في آيات قصة نوح وجدنا أنها تتميز بعناصر فنيّة أساسية من حيث الشخصيات و الأحداث والحوار.

أ) عنصر الشخصيات: وهو العنصر الذي تتناول فيه الأشخاص المتفاعلة مع الحدث حيث ترتبط الأحداث به ارتباطا وثيقا، فهي تتفاعل معها وتتأثر بها إلى حد التغيير من طبيعتها سلوكيا، ومن الشخصيات البارزة في قصة نوح:

– **شخصية نوح عليه السلام:** ويتسم بالصبر والصدق والحلم والإيمان والتّقى والنّذر.

– **شخصية المؤمنين:** وتتسم بالإيمان والطاعة والوجل أي الخوف من الله تعالى.

– **شخصية كنعان ابن نوح عليه السلام:** يتسم بالمعصية والفجور والكفر.

– **شخصية الكافرين (قوم نوح):** ويتسمون بالكفر والطغيان والفجور والعناد والمكر والنفاق والظلم والجهل والتكبر.

ب) عنصر الأحداث: وهي الأعمال التي يقوم بها أبطال القصة "فيختار القرآن منها أو من عناصر الحادثة ما يخدم الفكرة الرئيسية و يخلق الجو النفسي الملائم"[1]. ومن الأحداث التي وردت في القصة:

–المشهد الأول: إرسال نوح إلى قومه: حيث بعثه الله "لما عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر و بعثه رحمة للعباد"[2]، يقول تعالى ﴿**لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ**

[1] – التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر،1971م ، الشركة التونسية للتوزيع، ص 349.

[2] – بن كثير، قصص الأنبياء، سابق، ص 84.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ سورة الأعراف الآية [59]. وقوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ سورة هود الآية [25]

.**–المشهد الثاني: دعوة نوح إلى قومه:** حيث كان نوح صبورا وثابتا في دعوته لقومه لعبادة الله وتوحيده حيث "دعاهم بشتى أساليب الدعوة في الليل والنهار، والسر والإجهار، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، وكل هذا لم يوفق في مسعاه بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان"[1]، في قوله تعالى ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ سورة الأعراف الآية [59]. وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ سورة الشعراء الآية [116].

–المشهد الثالث: شكوى نوح إلى ربه: وذلك بعد دعوة قومه لعبادة الله، إلا أنهم أصرّوا على الكفر و المعصية فلجأ نوح إلى ربه شاكيا، في قوله **تعالى** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾ سورة نوح الآيتان [5] و [6]، وقوله تعالى ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ سورة نوح الآيتان [21] و[22]، فجاء وحي الله لنوح أنه لن يؤمن من قومه إلاّ من آمن، يقول تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ سورة هود الآية [36].

–المشهد الرابع: دعوة نوح على قومه: "وذلك أن نوحاً عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم، ورأى أنهم لا خير فيهم"[2]، "وتوصّلوا إلى أذيته بكل الطّرق دعا عليهم دعوة غضب الله

[1]– بن كثير، قصص الأنبياء، سابق، ص 95.

[2]– إسماعيل بن كثير، البداية و النهاية، تح: عبد الله بن المحسن، دار هجر، ج 1،ص 256.

عليهم فلبى الله دعوته وأجاب طلبه»[1]. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الشعراء الآيتان [117] و [118]، وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ سورة القمر الآية [10]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ سورة الصافات الآيتان [75] و [76].

-المشهد الخامس: أمر الله لنوح بصنع السفينة: بعد إعراض قوم نوح للدعوة وإصرارهم على الكفر «أمره الله تعالى أن يصنع الفلك»[2]، قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ سورة هود الآية [37]، كما أمره «أن يجعل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه من روح من المأكولات وغيرها، لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله أي أهل بيته»[3]. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ سورة المؤمنون الآية [27]،

-المشهد السادس: هلاك القوم : فلما حل الطوفان وطغى الماء على وجه الأرض تذكر سيدنا نوح عليه السلام ابنه كنعان فناداه ليركب معه ومع من آمنوا إلا أنه عصى أبوه ولم يستجب لندائه قال تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سورة الحاقة الآيتان [11] و [12]، و قال تعالى ﴿كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ

[1]- بن الكثير، قصص الأنبياء، سابق، ص 99.

[2]- بن كثير، قصص الأنبياء، سابق، ص 100.

[3]- إسماعيل بن كثير، البداية و النهاية، سابق، ج 1 ص 259.

ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾

سورة هود الآيتان [42] و [43].

–المشهد السابع: استواء السفينة على جبل الجودي: وكان ذلك يوم عاشوراء وهذا ما ورد «عن قتادة: أنهم ركبوا السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب فساروا مئة وخمسين يوما واستقرّت على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرّم، وروى ابن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم صاموا يومهم ذلك،»[1] شكرا لله عز وجل على نجاتهم.

ج) عنصر الحوار: يعتبر الحوار في قصة نوح عليه السلام عنصرا أساسيا ومهما حيث كان له دور هام في سير الأحداث، «فهو الذي يبعث الحياة ولحركة في الحدث ويؤدي إلى الهدف، ويظهر المغزى ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة، كما له دور في إحياء المشاهد أو تصوير الانفعالات أو الإقناع والتأثير ورسم معالم الشخصيات الإنسانية، بالتعبير عن خواطرهم النفسية وآرائهم الفكرية ومواقفهم وما شجر بينهم من صراع كصراع نوح عليه السلام مع قومه، حيث جاءت محاوراته في القرآن الكريم خلاصة لدعوته وجوهرها، مما يخدم الدعوة الإسلامية وينسجم مع بيئتها، ومع الظروف النفسية المحيطة به»[2].

ومن الحوارات البارزة في قصة نوح تكمن في حوار: نوح مع قومه، ثم حوار نوح مع ربه، ثم حوار نوح مع ابنه.

[1] ينظر: ابن الكثير، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، تع: غنيم عباس بن غنيم، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، السعودية – جدة، مكتبة التابعين، القاهرة، ط 1 ، 1419 هـ - 1998م، ص 165.

[2] ينظر التهامي النقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، سابق، ص 411-413-414.

– حوار نوح مع قومه: قال تعالى ﴿**وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ**﴾سورة هود الآيتان [25] و [28].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿**قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ سورة الأعراف الآيتان [60] و [61]. وقال تعالى: ﴿**قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ**﴾ سورة هود الآيتان [32] و [33].

وبعد الإمعان في الآيات القرآنية السابقة، نجد أن الحوار الذي دار بين نوح وقومه، هو حوار بين الباطل والحق، والخير والشر، حيث تميز الحوار بأسلوب يعكس تأدب نوح مع قومه، وحرصه الشديد على الألفة معهم في حين كان حوارهم (قومه) يتميز بأسلوب بذيء، إلا أن نوح عليه السلام خاطبهم على حسب عقولهم حيث كان يستعمل في حواره الأدلة لكي يسلم بها قومه، وكان يجيب على تساؤلاتهم وحججهم بالحكمة.

– حوار نوح مع ربه: في قوله تعالى: ﴿**وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ**

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ سورة هود الآيات [45] إلى [48]. فبعد التمعن في هذه الآيات المباركة نجد أن حوار نوح مع الله حوار غير مباشر ذلك لأن نوح لم يرى الله، إلا أن هذا الحوار جاء مراجعة لسؤال نوح فيما ليس له به علم حيث طلب من الله المغفرة و الرحمة.

– حوار نوح مع ابنه: في قوله تعالى: ﴿... **وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ**﴾ سورة هود الآيتان [42] و [43].حيث دار الحوار بين نوح وابنه للركوب معه فعصى الابن أبوه وعزم على صعود الجبل ليحتمي به، فأبوه حذّره وأنذره من عذاب الله لكن دون جدوى، وانتهى الحوار بين نوح وابنه حيث غرق الابن و نجى نوح ومن معه.

وبعد إتمام هذا المطلب نستطيع استخلاص ما تميز به نوح عليه السلام في دعوته، حيث كان صادقا وثابتا مع قومه الكافرين على الرغم من إعراضهم للدعوة.

وتوكُّأً على هذه الميزات سأبين في المطلب الثاني جملة ما عاناه نوح من تحديات وصراعات نفسية والتي سيتم اكتشافها من آيات و ألفاظ وردت على لسان نوح والتي كان لها دور كبير في إبراز السلوك الإنساني، وما ذلك إلا للتركيز على الدلالات النفسية التي تصاحب شخصية نوح عليه السلام وشخصية قومه ومن خلال هذه أسعى للكشف عن خبايا نفوسهم والجانب التأثيري فيهم مع الاعتماد على بعض من تفاسير القراء.

المطلب الثاني: استقراء الآيات واستخراج الدلالات النفسية للقصة.

إنّ دراسة الدلالة النفسية في قصة نوح عليه السلام لها دورا كبيرا في إبراز الوجهة النّفسية الصّادرة من شخصيات هذه القصة والتي بدورها تكشف لنا خبايا وخفايا هذه النفوس ومدى تأثيرها بصورة مأثرة في نفس المتلقي، ومن هذا المقام سأقف محاولة الحديث عن بعض الدّلالات النّفسية عارضة جملة ما عاناه النبي عليه السلام من تحديات نفسية وعاطفية، وانفعالات حادة من قومه كادت تعصف بدعوته لولا صبره وثباته على الحق، كما اتّخذت هذه الدّلالات النّفسية للقصة صورا وأشكالا نلمسها من خلال التعبيرات والحركات من دعوة نوح لقومه، وسخرية لفظية واستهزاء وإعراض عن الدّعوة وعاطفة الأبوة (نوح وابنه) وغيرها من المشاهد التي سنكتشف أبعادها النفسية جرّاء هذه الدعوة.

المشهد الأول: ففي مقدمة قصة نوح نجد الحق تعالى يحدثنا عن إرسال نوح لقومه وهذا ما جاء في كثير من السور وذلك لهدف التّوحيد بالله تعالى، فقال تعالى: ﴿**لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ**﴾ سورة الأعراف [59].

فمن حكم الله تعالى أنه أرسل نبيه نوح إلى قومه وفي بيئته التي يعيشها، ليكون تأثيره فيها قويا على النفوس، فالآية السالفة ذكرها نجد أن الله تعالى "بدأ كلامه ب "قد" وهي جملة جواب القسم، لأن القسم يهيئ نفس السامع لتوقع خبر مهم"[1]، لما في هذه الآية دقة في التصوير النفسي الذي يثير الانتباه ويقتضي التأمل، فالله تعالى أراد أن يصور لنا نفسية القوم لما سيتلقّونه ويسمعونه من نوح عليه السلام ويكشف لنا ما وراء كل نفس من خبايا بعدما نادى نوح قومه في قوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾

[1] – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 8، ص 188.

فنوح عليه السلام ينادي قومه ويحذّرهم ويذكّرهم بعذاب اليوم العظيم بنفسيّة حزينة ورقيقة ذات شفقة مع تصريحه بخوفه الشّديد عليهم "إنّي أخاف عليكم"، والذي سبب له الإزعاج والألم النفسي لما سيحدث لهم من عقاب، فالخوف يكون من القلب وينعكس على الجوارح.

المشهد الثاني: يقول تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سورة الأعراف الآيتان 60 – 61.

فإذا أمعنّا النّظر في هذه الآية نكتشف أن هناك جملة من الانفعالات النّفسيّة بارزة من محاورة نوح مع قومه، التي غلبت على أسلوب عقولهم لمواجهة هذه الدعوة.

كما نلاحظ في سياق المحاورة "مزيجا من الانفعالات الإيجابيّة والسلبيّة، فهي إذا تكشف جهل قوم نوح عليه السلام وتسجل طبيعتهم الملتوية المنحرفة، لتأكد جانباً وعضياً في الصبر على تربية النفوس وإصلاحها، فنوح عليه السلام في مواجهته لهذه النفوس الملتوية المنحرفة يحتذي في تحمل والصبر على الانعكاسات النفسية التي فوجئ بها من قومه"[1]، بما اتهموه به من ضلال لكن الرسول ناداهم لإبطال ما قالوه في قوله: يا قوم ليس بي ضلالة، ولكني رسول من رب العالمين.

فالواضح من الآية أن نوح استعمل في كلامه النفي والنفي بدوره كشف لنا المعاني النفسية لشخصية نوح عليه السلام.

"فالنداء في جوابه إياهم للاهتمام بالخبر ولم يختص خطابه بالذين جاوبوه، بل أعاد الخطاب إلى القوم كلهم، لأن جوابه مع كونه مجادلة للملأ من قومه هو أيضا يتضمّن دعوة عامة، كما هو بيّن وتقدّم آنفاً نكتة التعبير في ندائهم بوصف القوم المضاف إلى ضميره، فأعاد ذلك مرة ثانية استنزالا لطائر نفوسهم مما سيعقب النداء من الرّد عليهم وإبطال قولهم" **"إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ "**.[2]

[1]– ينظر – سليم هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، سابق، ص 170.

[2]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 8، ص 191 – 192.

فالنفي في الآية يبرز لنا المعاني النفسية لشخصية نوح عليه السلام، فردّه وجوابه في قوله "**لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ** " أظهر لنا كوامن نفسيته، بما فيها من براءة وحكمة وصبر، بالرغم من جبروتهم وظلمهم وادعائهم عليه.

المشهد الثالث: قال تعالى: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ سورة الأعراف [62].

فجملة "أبلغكم رسالات ربي" صفة للرسول[1]، والتبليغ في هذه الآية يشير إلى ملحظ نفسي يعبر به نوح عن حالته الدّاخليّة، اليائسة من كفرهم وتماديهم في عصيان الله وإعراضهم عن الآيات بعد وضوحها وجلائها وقوة دلالتها.

في حين نجد أن النبي نوح عليه السلام بالرغم من حالته النفسية يتوجّه إلى قومه لنصحهم وإرشادهم وتنبيههم ممّا لا يعلمونه من الله لقوله: "**وَأَنصَحُ لَكُمْ** " وقوله "**وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**" لفعل الخير فيهم بحسن نيّته، وهكذا تتراءى لنا دلالة نفسية قوية للنفس المؤمنة، ألا وهي نفس نوح عليه السلام التي أخلصت فيما أضمرت وأعلنت، واتجهت لفعل الخير قولا وفعلا، في النفوس الجاهلة والحاقدة والطاغية والكافرة بنعم الله تعالى وما هذا إلا للتأثير فيها لعلّها تصحوا من غفلتها وعبثها.

المشهد الرابع: قال تعالى: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ سورة الأعراف [63].

بعد التأمل في هذه الآية يُتصوّر لنا مشهدا لنفسية الكفار وهم متعجبين من نوح عليه السلام الذي جاءهم بالنصح والإنذار لكونه بشراً مثلهم ومنهم، فالآية الكريمة تتضمّن مجموعة من الألفاظ

[1] – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق،ج8، ص 193.

لها مدلولات نفسية عميقة وإيحاءات معبرة عن مكنونات داخلية لتأثيرها في ذهن المتلقي، ومن هذه الألفاظ نجد: "**لِيُنذِرَكُم** "، "**لِتَتَّقُوا**"، "**لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ**"، "فالإنذار لتحريك القلوب بمشاعر التقوى ليظفروا في النهاية برحمة الله"[1].

المشهد الخامس: وتستمر آيات القصة في كشف خبايا نفوس قوم نوح التي تتّسم بالصفات الزائفة من تطاول وتعال عليه وهذا ما نلحظه من قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ** ﴾ سورة الشعراء [116].

فالآية الكريمة تشير إلى معان وخفايا نفسية يحملها قوم نوح من حسد ومكر وإيذاء وسر، فكل هذا كَشَف لنا العقد النفسية التي تتحكم بقوم نوح فتدفعهم إلى التكذيب دون مبرّرات وهذا ما نلمسه في هذا الحوار حين ردّ عليهم نوح بالحجة لقوله: ﴿**وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ**﴾ سورة الشعراء [115].

فهذه الحجة قوية المعنى أثرت تأثيرا عميقا في نفوس القوم، لذا لم يجدوا حجة أقوى من هذه، فلجأوا حينها إلى تهديد الرّسول برجمه وإيذائه بسبب انفعالاتهم النفسية، فما تقدم من تحليل لهذه الآية يُبيّن لنا الدّلالات النفسية التي أظهرت الجانب النفسي من المكر والتآمر الذي تميّز به قوم نوح[2].

المشهد السادس: قال تعالى: ﴿**....وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ هود الآية [31].

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، سابق، ج 3، ص 1309.

[2] – ينظر: عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدّلالة النّفسية، سابق، ص 439.

والظاهر لنا من سياق الآية الكريمة « أن الخطاب موجه من نوح إلى كفار قومه الذين كانوا يحتقرون فقراء المؤمنين، فمن هذا التعبير نلمس دلالة نفسية من حركات العيون لأنها دلّت على حركة معينة من الاحتقار والانتقاص»[1]، فنظرات العيون هذه أدت دورها في التعبير عما في نفوسهم من انفعالات شعورية وخبايا من كراهية وحقد وضلال واحتقار وانتقاص وكبرياء وذلك للتستّر عن عيوبهم ونقائصهم، باستعلائهم واستكبارهم على القوم المؤمنين للتأثير فيهم.

المشهد السابع: قال تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ** ﴾ هود الآية [32].

وتستمر الآيات بعرض الأوصاف النفسية لقوم نوح عليه السلام، فتصور لنا هذه الآية دلالة نفسية كاشفة لطبيعة نفوسهم البارزة من ردّة فعلهم في حوارهم مع النبي بتسلّط أنفسهم وصفاقة قلوبهم، ولم تقف نفوسهم عند هذا الحد بل تعدّت إلى تحدّي الله ورسوله وما وعدهم به بسخافة "**فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**"، فطبيعة كلامهم كشفت خبيئات نفوسهم من حقائق كانوا عليها، وبرزت صفاتهم وخصائصهم من كفر وطغيان وجهل وتحدٍّ وتكذيب.

المشهد الثامن: يقول تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ** ﴾ هود الآية [28].

ويستمر نوح في مناداة قومه واستجلابهم لرحمة الله تعالى مستعملا في ندائه حرف النّداء "يا قوم"، فمن هذا النّداء جاء في تفسير سيد قطب: « "يا قوم" في سماحة ومودّة بندائهم ونسبتهم إليه ونسبة نفسه إليهم، إنكم تعترضون فتقولون "ما نراك إلا بشرا مثلنا" فما يكون رأيكم إن كنت على اتصال بربي، بيّن في نفسي مستيقن في شعوري، وهي خاصية لم توهبوها، وإن كان الله آتاني رحمة من عنده باختياري للرسالة، وآتاني من الخصائص ما أستحق به حمل الرسالة وهذه رحمة ولا شكّ عظيمة

[1] – ينظر: أسامة جميل عبد الغني ربايعة، لغة الجسد في القرآن العظيم، سابق، ص 32.

ما رأيكم إن كانت هذه وتلك فخفيت عليكم عماية، لأنكم غير متهيئين لإدراكها، وغير مفتوحي البصائر لرؤيتها» [1]، فمن طريقة كلام نوح عليه السلام تبيّن لنا كيف صعب على القوم إدراك المعاني النفسية من الآيات والألفاظ القرآنية التي جاءهم بها، وكان ذلك سبب قصورهم في الرصيد النفسي، لهذا "تلطّف نوح في توجيه أنظارهم ولمس وجدانهم وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفيّة عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، ويبصرهم بأن الأمر ليس موكّلا إلى الظواهر السّطحية التي يقيسون بها"[2].

وقوله « "أنلزمكموها" فهي كلمة بدورها تؤدّي المعنى النفسي، فتأدية نوح لهذه الكلمة دلالة على "أنه يكاد ينبئ من وروده في هذا السياق بالجو النفسي الذي كان يعيشه» [3].

فبعد تفسير وتحليل لهذه الآية نجد دلالات نفسية رائعة تكشف لنا أن القول الذي ورد على لسان نوح: "يا قوم"، "على بيّنة"، "آتاني رحمة"، كلها ألفاظ دلّت على معاني اللّطف والحب والعفاف والرحمة للقضاء على الجهل والكره والاستكبار الذي امتاز به قومه الكفار.

المشهد التاسع: يقول تعالى: ﴿ **وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾ سورة هود الآية [38].

«والملحوظ من سياق الآية دلالة نفسية تمثّلت في السخرية اللفظية والاستهزاء بنوح عليه السلام والتي نلمسها من "الألفاظ الجارحة عبر وعيد بإيذاء، واتهام بالنّقيصة، والكذب ومسمّيات الزّور» [4] ومن هذه الألفاظ: "الضلال"، "لنرجمنّك"، "بشر مثلنا"، "إن كنت من الصادقين"، افتراه" .....الخ

---

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، سابق، ج 4، ص 1873.

[2]– المرجع نفسه، سابق، ج 4، ص 1874.

[3]– عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدّلالة النّفسية، سابق، ص 263

[4]– كائنات محمود عدوان، التحديات المواجهة للدعوة من خلال سورة نوح "عليه السلام"، محاضرة غير متفرغة بقسم الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، 7 – 8 ربيع الأول 1426 هـ – 16 أفريل 2005 م، ص 1028.

فسخريتهم اللفظية هذه، كشفت لنا نفوس القوم من خبايا وخفايا وما تحمله من غلّ وحسد ولؤم «ولأنها نفوس طُبِعَتْ على الشّر. فإذا رأت أهل الخير يسارعون في الخيرات حاولت التقليل من شأن الفاعل بأن تسخر مما يفعله أو تستهزئ به» [1] كما استهزؤوا بنبيّهم عليه السّلام، وجاء في تفسير ابن عاشور لهذه الآية، «وجملة "إن تسخروا منّا" حكاية لما يجيب به سخريتهم أجريت على طريقة فعل القول إذا وقع في سياق المحاورة، لأن جملة سخروا تتضمّن أقوالا تنبني عن سخريتهم أو تنبني عن كلام في نفوسهم، وجمع الضمير في قوله "منا" يشير إلى أنّهم يسخرون منه في عمل السفينة ومن الذين آمنوا به، إذ كانوا حوله واثقين بأنه بعمل عملا عظيما، وكذلك جمعه في قوله "فإنا نسخر منكم" والسخرية: الاستهزاء، وهو تعجب باحتقار واستحماق» [2].

فمن خلال هذا التفسير نستطيع الاستعانة بعامل لإخراج الدلالة النفسية من الآية ويتمثّل هذا العامل في طريقة أداء نوح عليه السلام لجملة "إن تسخروا منا" فهذه الجملة جاءت جوابا لقوله "فإنّا نسخر منكم كما تسخرون منّا"، ومن هذا عُدَّت هذه السخرية من أخطر التحديات النفسية التي واجهها النبي عليه الصلاة والسلام والتي كادت تعصف بنبوّته، لولا صبره وعفافه وثباته على الحق، وقد "كان ذا نفسية أبيّة يأبى الضّيم، والذّل، والهوان، وكان يردّ عن نفسه وإخوانه سخافاتهم" [3].

المشهد العاشر: جاء في قوله تعالى على لسان نوح: ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ** ﴾ سورة نوح الآية [07].

فهنا يصف لنا نوح حال قومه وهو وصف في غاية الدقة والبيان «وهم يحاولون إغلاق آذانهم حتى لا يسمعوا الحجة والبيّنة وزيادة على ذلك يضعون ثيابهم على وجوههم مبالغة في الإعراض عن

[1] – محمود سليم هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، سابق، ص 103.

[2] – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 68.

[3] – إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، إ ش عودة عبد الله وسمية عبد القادر، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول علة درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين، 2009 م ، ص122.

سماع الحق، ولا يخفى على المتذوق لحلاوة القرآن الكريم سرّ التعبير بالأصابع على التعبير بأطراف الأصابع، ومراد القرآن زيادة على المبالغة في الإعراض»[1]، فمن هذا نكتشف أن استعمال الأصابع ووضعها في الآذان تعبير عن حالتهم النفسية وانفعالاتهم التي جاءت كردّ فعل لعدم استجابتهم وتأثّرهم بالدّعوة بسبب استكبارهم وعنادهم.

المشهد الحادي عشر: في هذا المشهد سأعرض مشهداً من قصة الطوفان، قوله تعالى ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ هود الآية [43 - 44].

فهذه الآيات تجسّد لنا حالة نفسية شعورية نلمسها من حركة الموج وهو يجري بهم، وفي هذه اللحظة الرهيبة، تُتنبّهُ في نوح عاطفة الأبوة»[2]، «الصادقة بهذا النداء الذي ينمّ عن مدى الشفقة والرحمة والحنان والرأفة[3]

فينادي نوح ابنه العاق، والذي "يعلم أنه مغرق مع المغرقين ولكن ها هو ذا الموج يطغى فيتغلّب "الإنسان" في نفس نوح على "النبي"، ويروح في لهفة وضراعة، ينادي بابنه جاهرا "ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين"، ولكن البُنُوَّة العاقّة لا تحفل هذه الضراعة والفتوة العاتية لا ترى الخلاص إلا في فتوّتها: "قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء"، ثم ها هي ذي الأبوة الملهوفة ترسل النداء الأخير "قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم"، وفي لحظة تتغيّر صفحة الموقف، فها هي ذي الموجة العاتية تبتلع كل شيء "وحال بينهما الموج وكان من المغرقين"[4].

---

[1] – كائنات محمود عدوان، التحديات المواجهة للدّعوة من خلال سورة نوح عليه السلام، سابق، ص 1029.

[2] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، سابق، ص 58.

[3] – إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، سابق، ص 123.

[4] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، سابق، ص 58.

فمن هذا المشهد المؤسف نستنتج دلالات نفسية صادرة من عاطفة الأبوة التي انبعثت من قلب نوح اتجاه ابنه العاق والتي تميزت بالحنان والرحمة والشفقة، فألفاظ الآيات القرآنية السالفة صوّرت لنا كثيرا من المعاني النفسية مثلا لفظ "يا بنيّ" يشير إلى عاطفة البنوّة والمحبّة، ولفظ "ولا تكن" فهنا النّفي عن عمل ما يشير إلى خوف نوح على ابنه من المفر، فكل هذه الدّلالات ذات أبعاد نفسية مرتبطة بالمشاعر والوجدان.

المشهد الثاني عشر: ولنتأمل قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ** ﴾ سورة هود الآية[46 – 47].

فبعد التّأمل في سياق الآية الكريمة نكتشف حالة من الحالات النفسية التي راودت نوح عليه السلام عندما غرق ولده وهي حالة نفسية دالة على الحزن والألم والحسرة مما طلبه من الله مع أنه "يعلم أن ابنه الكافر نهايته مع المغرقين فبعدما هدأت العاصفة تحركت في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع، وذا القلب الشّغوف الممزوج بالرّحمة والحنان، فنوح حزن وتحسّر لغرق ابنه، فقام بمناجاة ربه في ابنه بأن لا يجعله من الكافرين "[1]، وكأنه تعجب بسؤال ربّه على ما قضاه لقوله "ربي إنّ ابني من أهلي" فالملاحظ من ألفاظ الآية أنها مشحونة بأجواء نفسية ، تدُلُّ على و الحزن والحسرة والأسى وبعد هذا السؤال جاء جواب الله عليه قائلا ﴿ **يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ** ﴾ هود الآية [46].

[1] – ينظر: إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، سابق، ص 122 – 123.

«فجاء الرّد في قوة وتقرير وتوكيد»[1]، والذي «يحمل رائحة التّأنيب والتّهديد»[2]، نلمسه من ألفاظ الآية الكريمة الدّلة عليه ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ **وقوله** ﴿ **إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ** ﴾ و ﴿ **إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ** ﴾.

وبعد هذا التأنيب والتهديد الذي وُجه إلى نوح عليه السلام حرّكت في نفسه مشاعر الخوف والرهبة لتأثره من كلام ربه، فصار «يرتجف نوح ارتجافة العبد المؤمن يخشى أن يكون قد زلّ في حق ربه، فيلجأ إليه يعوذ به ويطلب الغفران والرحمة»[3]، أي حالة الندم والحزن والألم لما فعله نوح جعلته توقظ إحساسه ومشاعره ووجدانه لإدراكه الخطأ الذي اقترفه في حق الله، ما دفعه إلى طلب الغفران والرّحمة والسّلوان لقوله ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ** ﴾

فهذه الآية نجد فيها «تناسق نفسي يضرب الوتر الحسّاس لدى النفس، باختيار الألفاظ التي تتناسب وكوامن الأنفس»[4]، ومن هذه الألفاظ "إني أعوذ بك" فمن هذه الكلمات نرى أنّ «الاستعاذة ظاهرة من كلام نوح ويعني بها الانكفاف عن الإفضاء بالسؤال»[5].أي عدم تكرير الخطأ

وقوله أيضا "أن أسألك" و "إلّا تغفر لي" و "ترحمني"، فهذه الكلمات تحمل كثيرا من المعاني النفسية، إذ تمتدّ فيها حسرة وتأسّف طويل بامتداد الصوت بالياء "تغفر لي"، "ترحمني".

---

[1] – المرجع نفسه، سابق، ص 124.

[2] – سيد قطب، في ظلال القرآن، سابق، ج 4، ص 1880.

[3] - المرجع نفسه، سابق، ص 1880.

[4] - محمود سليم هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، سابق، ص 222.

[5] – ابن عاشو، تفسير التحرير والتنوير، سابق،ج 12، ص 88.

بعد استقراء الآيات وتحديد الدلالات النفسية التي صحبت شخصيات القصة، وبعد الكشف عن خبايا وخفايا نفوسهم، سأتطرق في المطلب الأخير إلى تحليل هذه الدلالات النفسية وتبيين أثرها في تقوية المعنى من حيث نظمه وسياقه ونسقه وروعة دقته في التعبير.

المطلب الثالث: أثر الدّلالة النّفسية في تقوية المعنى.

إن الإنسان مادة وروح. وروح الإنسان مقتَبَسة من روح الله تعالى، فكما يتأثّر الإنسان بالحاجات الماديّة التي تحيط به، أيضا عليه أن يتأثّر بالحاجات الرّوحية بتشوّقه الرّوحي لمعرفة الله وعبادته والإيمان بالعقيدة الإسلامية. فنفس الإنسان إذا خلت من الحاجات الرّوحية قد تصبح خالية من المعاني السّامية. ومنه فالجانب المادي والرّوحي ضروريّان في حياة الإنسان لأنّهما بدورهم يؤثّران على سلوكه وتصرّفاته تأثيرا إيجابيا وأحيانا سلبيّا من المعاني النّفسية التي يعاني منها الإنسان في واقعه الذي يعيشه.

يقول تعالى: ﴿ **لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ** ﴾ سورة الأعراف الآية [59].

فالدلالة النفسية لهذه الآية تمثلت في مناداة نوح لقومه بنفسيّة حزينة وخائفة و ذات شفقة، فالملاحظ من هذه الآية أن نوح تأثّر من حال قومه وما هم عليه، فناداهم ب "يا قوم"، فاستعمل نوح في سياقه للآية كلمة "قوم" «دلالة على الرجال والنساء في أغلب مواضع ورودها، ذلك أن الأقوام والتجمعات البشرية لا يمكن أن تصوّر وجودها دون النساء، ويبدو أنَّ القرآن استعمل دليلا لفضيا واحدا للرجال والنساء لينبّه على وحدة الموقف الإلاهي أمام الحياة الاجتماعية والفكرية لهم، لذلك أراد القرآن بهذا أن يرُدَّ التفريق الذي عليه الجاهلي، فما تفريقه اللفظي بين قوم (رجال، نساء) إلاّ بأثر من التفريق الذي يعتقده الفكر الجاهلي»[1]. لهذا نجد نوح عليه السلام استعمل كلمة قوم

[1] – محمد جعفر محسن العارضي، الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، سابق، ص 130.

لأنه واحدًا منهم كما أشرت سابقا لتفسير سيد قطب أنّ كلمة قوم «في سماحة وموّدة بندائهم ونسبته إليهم ونسبة نفسه إليهم»[1]، كما كان منشأه في تلك البيئة لذلك أرسل إليها ليكون تأثيره فيها قويا على نفوس قومه وذلك بدعوتهم لعبادة الله وحده «والأمر بذلك يتناول جميع الواجبات والمندوبات هن أفعال القلوب وأفعال الجوارح»[2]، لإيقاظ الجانب الرّوحي في قلوبهم لقوله "اعبدوا الله"، بدل الانشغال بأمور الدنيا كعبادة الأصنام والأوثان وغيرها.

وعليه يمكن أن تقول أن لفظ "قوم" جاء ليؤثر في نفوس المخاطبين كافة نساء ورجالاً لعلّهم يدخلون في رحمة الله.

كما نلحظ لفظ "الخوف" في قوله "إني أخاف عليكم"، ومن فوائد الخوف أنه يدفع المؤمن إلى اتقاء عذاب الله في الحياه الآخرة، فالخوف من عقاب الله يدفع المؤمن إلى تجنب الوقوع في المعاصي وإلى التمسك بالتقوى والانتظام في عبادة الله وعمل كل ما يرضيه»[3]، بهذا نجد نوح متأثرًا من حال قومه مما انعكس هذا التأثر على مشاعره ووجدانه واصفا نفسه بالخوف عليهم من عذاب الله، «والمراد من الخوف اليقين لأنه كان جازما بنزول العذاب بهم إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة إن لم يقبلوا ذلك الدين، وقال آخرون بل المراد منه الظن والشك»[4]، فالخوف انفعال نفسي ينتاب الإنسان لتوقع حدوث مكروه فكما يخاف الإنسان على نفسه، خاف سيدنا نوح على قومه فخوفه في هذه الحالة كان تأثير لانفعال داخلي الدّال على الشفقة والحنان والخوف على قومه من يوم الهلاك ولهذا الإنسان مفطور بهذا الانفعال، ويعدّه علماء النفس حالة من حالات التوتر التي تدفعه من الهروب من مكروه حرّك فيه مشاعر الخوف واستثاره، سواء كان هذا المثير ماديا أم معنويا، والخوف يكون في حالتين لمدح أو لذم، بهذا نرى أن نوح عليه السلام كان خوفه مشروعا ممدوحا لأنه كان خوفا من الله

[1]– سيد قطب، في ضلال القرآن، سابق، ج 4، ص 1873.

[2]– أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1365هـ – 1946م، ج 29، ص 79.

[3]– محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، سابق، ص 72.

[4]– وهبة الزحيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، سابق، مج 4، ج 8، ص 624.

على قومه العاصين مما سيحل بهم، وعليه فإن هذا النوع من الخوف أصيب به باقي الأنبياء تعبيرا عن ردّة فعل.

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ سورة الأعراف الآيتين [60] [61].

فاتّهام النبي في هذه الآية بالضّلال كشف لنا نفسيّة قومه المنحرفة والملتوية والجاهلة، بهذا تأثّر نوح من قولهم باتهامهم له. بالضلال مجيبا إيّاهم بقوله "ليس لي بضلالة" وعند التأمل في لفظة "ضلالة" أنها «أخص من لفظ الضلال فجاءت اللفظة مؤنّثة فكانت أبلغ في نفس الضلال عن نفسه»[1]، كأنه قال ليس لي بشيء من الضلالة وهذا التعبير يوضح لنا مدى الأثر النفسي الذي بدى واضحا من طريقة أدائه للجملة.

ويعتبر الضلال هو العدول عن الطريق المستقيم و «الضلالة مصدر مثل الضلال وجاء عن تأنيث لفظة الضلالة لابن عاشور في قوله: فتأنيثه لفظي محض، والعرب يستشعرون التأنيث غالبا في أسماء أجناس المعاني مثل الغواية والسّفاهة»[2].

فالضّلال عن هدى الله قد يؤدي بالإنسان إلى إصابته بالأمراض النفسية وارتكاب الجرائم بأنواعها ويؤدي إلى الاستهزاء بالناس والسّخرية منهم، كما فعل الأقوام بأنبيائهم، فهذه الأسباب كلها نتيجة للصدّ عن سبيل الله وهذا مؤشر خطير على حياة الإنسان بالرغم من تقدمه الحضاري فقد يؤدي به إلى التّعاسة والبؤس في دنياه.

و يُلاحظ في هذه الآية "إنا لنراك في ضلال مبين" تأكيد "بأنّ" المشدّدة وهذا التّشديد يشير إلى معاني نفسيّة دقيقة دالّة على إساءة القوم لنوح واتّهامه بالضّلال والكذب والافتراء، وكان هذا

[1] – وهبة الزحيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة، سابق، مج 4، ج 8، ص 622.

[2] – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 8، ص 408.

دليل أيضا على مكرهم وإيذائهم وإعراضهم عن الحق، فنوح عليه السلام ردّ بنفي هذا الضلال "ليس لي بضلالة" وهذا ما جعل نفسيّة نوح تتأثر من مواجهتهم له واتهامه وتحديه رادّا عليهم بالنفي مما يشير هذا النفي إلى عمق الأثر النّفسي لسيدنا نوح عليه السلام، لعبّر بهذا التّأثير عمّا في نفسه من إرشاد ونصح لتهذيب النفوس.

ويقول تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية [62]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ سورة هود الآية [34].

والمؤمل من سياق الآية أن التّبليغ أشار إلى ملحظٍ نفسي عبّر به نوح عن مكنوناته النفسية اليائسة من كفرهم وتماديهم، فلفظ "أبلّغ" و "أنصح" و "نصحي" إشارة إلى إعلام النفس بتنبيهها وتحذيرها واقتران التّبليغ بالنّصح في هذه الآية له معنى نفسي مؤثّر من حيث صيغة الفعل جاءت على وزن أفعّل، فالتّشديد في كلمة أبلّغ كشَفت لنا المعنى النفسي لنوح عليه السلام، والتّبليغ معناه تعريف النفس بأوامر الله ونواهيه، فنوح عليه السلام في هذه الآية هو النّاصح الأمين، والنّفس النّاصحة هي النّفس المطمئنة، فنصح نوح أثّر في نفوس بعض من قومه مما أدى إلى تقرّبهم من ربهم بينما البعض الآخر لم يتأثّر بهذا النصح واعتبروه مصلحة في حقهم، ومن هذا التّأثير نجد أن نوح وضّف "زيادة اللام في "أنصح لكم" وذلك مبالغة في التّعبير عما في نفسه و دلالة على إمحاض النّصيحة"[1] في قومه.

والإنسان هو الذي يخطأ وعليه يجب التّناصح مع الغير، لأن النصح بين المسلم وأخوه واجب ديني واجتماعي وذو ضرورة شرعية، لكي لا يتفشّى الفساد الخلقي في المجتمع ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "الدّين النّصيحة، قلنا لمن يا رسول الله قال لله ورسوله ولكتابه والأئمة المسلمين عامتهم" صدق رسول الله، ومن النصح ما نلحظه من تأثير أخت موسى عليه السلام في زوجة فرعون

[1]- ينظر: وهبة الزحيلي، تفسير المنير، سابق، مج 4، ج 08، ص 617.

حيث وضّفت الاستفهام التّشويقي ليعيد به موسى لأمّه في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ سورة القصص الآية [12].

ولنتأمل قوله تعالى على لسان نوح: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية [63].

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة الشعراء الآية [115].

فتعجُّب قوم نوح في الآية الأولى، كان تعجّبا منه لما جاءهم به نوح من نصحٍ وإرشادٍ وتحذيرٍ من يوم العذاب وهذا التعجّب كشف نفسيّتهم الجاهلة لأمور الله وسَفهِهم وعنادهم وإعراضهم عن الدعوة. لذلك خاطبهم بقوله "أوعجبتم" ليبيّن لنا حالتهم "فانتقل إلى كشف الخطأ في شبهتهم على كلامه مفتَتِحا الجملة باستفهام إنكاري بعد واو العطف، وهذا مُشعر بأنّهم أحالوا أن يكون رسولاً واختير الاستفهام دون أن يقول لا عجب، إشارة إلى أن احتمال وقوع ذلك منهم مما يتردد فيه ظن العاقل بالعقلاء فقوله "أوعجبتم" بمنزلة المنع لقضية قولهم﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة الأعراف الآية[60]. لأن قولهم ذلك بمنزلة مقدمة دليل على بطلان ما يدعوهم إليه، وحقيقة العجب أنه انفعال نفسي يحصل عند إدراك شيء غير مألوف"[1]. إضافة إلى ذلك نجده استعمل لفظ "الإنذار" في كل مراحل الدّعوة لقوله "لِيُنذِرَكم" ، "نذيرٌ مبين". فهذه الألفاظ القرآنية تبوّأت مكانا خاصّاً في هذه الآية لتعبّر بكل قوة عن المعاني النّفسية أو الحالة النّفسية لقوم نوح لكَونِ الإنذار محرّكا للمشاعر والوجدان لذلك تدرّج النبي في كلامه من الأدنى إلى الأعلى فبدأ كلامه بأسلوب التّرهيب في قوله "لِيُنذِرَكم" ليزرع الرّهب في نفوس الكفّار من قومه ويخوّفهم من عذاب الله. ثمّ انتقل بعد ذلك إلى أسلوب الترغيب في قوله: "ولتتقوا لعلكم ترحمون" فالانتقال من أسلوب إلى أسلوب يزيد المعنى قوة

[1] – ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، سابق، ج 8، ص 195.

ووضوحًا وتأثيرا في إدراك المعاني، فالقرآن يتخيّر أقوى الألفاظ ليتلاءم مع السياق، وبهذا نجد أن السّياق الكلامي لنوح أسلوب بين ترهيب ثم ترغيب «فحذّرهم عاقبة كفرهم ثم أنذرهم عاقبة الشّرك في عبادة الله وتقواه أي الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه لرحمة الله تعالى التي يُنزلها على المؤمنين، أو ليوجد فيكم التّقوى وهي الخشية بسبب الإنذار، ولترحموا بالتقوى التي وجدت منكم»[1]. وعليه فهذين الأسلوبين المذكورين في الآية فيهما إشارة لنفس نوح عليه السلام للتّأثير في نفوس قومه وذلك بالإنذار والنّصح والعظة والتّحذير والتّخويف أي أنّ المنذر يسعى للتّأثير في النفوس المنحرفة عن طاعة الله لكي يكون تأثيره قويا في تلك النفوس ليُحدث بدوره استجابة معيّنة، ومثل ذلك أنّ الأب يسعى إلى إنذار أولاده ونصحهم وإرشادهم إلى الصّواب وهذا من حقّه ومسؤوليّاته، وما إنذار الأب لأولاده إلاّ لتأديبهم وتربيّتهم لنفوسهم.

ولنتمعن في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ** ﴾ سورة هود الآية [28].

فبعد التمعّن في هذه الآية نجد أنّ الأبعاد النّفسية لهذه الألفاظ صعب إدراكها عند القوم الكفار ولذلك سعى نوح «لتوجيه أنضارهم ولمس وجدانهم وإثارة حساسيتهم»[2]، لإدراك البعد النفسي للقيم الخفية عنهم بسبب فقرهم في الرّصيد النّفسي والتّجارب الحسيّة والرّوحية التي أثّرت سلبا عليهم، فاستعمال كلمة "بيّنة" ، "رحمة" «فالبيّنة هي البرهان، وأتاني رحمة من عنده بإيتاء البيّنة على أن البيّنة في نفسها هي الرّحمة ويجوز أن يوجد بالبيّنة، المعجزة، النبوّة»[3]. وبهذين المعنيين أراد نوح إيقاظ فكرهم والتّأثير فيهم مع أنهم غير متهيّئين لإدراكه وما ذلك إلاّ لإرشادهم وتهذيب لنفوسهم وهدايتهم إلى الله أما لفظة "فعمّيت" جاءت تشبيها أي «شبّه من لا يهتدي بالحجة

[1]– ينظر: وهبة الزحيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة، سابق، مج 4، ج 29، ص 263.

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، سابق، ج 4، ص 1873.

[3]– أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تع:خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3، 1430 هـ– 2009م، ص 481.

لخفائها عليه بمن سلك الصحراء لا يعرف طرقها على سبيل الاستعارة التمثيلية»[1] وهذا التشبيه « يجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأدناه وتصور المنظر للعين وتنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموسًا محسوساً»[2]

«و "عليكم" متعلقة ب "عمّيت" وهو حرف تتعدّى به الأفعال الدّالة على معنى الخفاء، مثل: خفي عليكم ولما كان عَمِيَ في معنى خَفِيَ ب (على) وهو الاستعلاء المجازي أي التّمكن، أي قوة ملازمة البيّنة والرّحمة له. واختيار وصف الرب دون اسم الجلالة للدلالة على أن إعطاءه البينة والرحمة فضل من الله أراد به إظهار رفقه وعنايته به»[3].

أمّا قوله "أنلزمكموها" يعني أنجبركم أو نكرهكم على قبولها، والملاحظ من هذه الجملة أنها تمتاز بالطّول، كما نستطيع «أن نلتمس جمال هذه الكلمة من خلال ردها إلى الأصل الثلاثي "لزم" وهو من الأفعال المجرّدة، فكلمة أنلزمكموها فيها سمة احتزان لأن صيغتها تعني وجود مفعولين وكأنما أضمر هذان المفعولان لموافقة نبرة الغضب التي تتطلّب السرعة والمفعولان هما الكفار والآيات»[4].

فلفظ "أنلزمكموها" أدّت دورها في السّياق بتحديد البُعد النّفسي حيث حدّد لنا الجو النّفسي الذي كان يعيشه النبي عليه السلام، مما جعله يورِد هذا اللّفظ، كما نجد هذا اللفظ "أنلزمكموها" «مثقّل بالضّمائر كألف الاستفهام والفعل "لَزَمَ"، والكاف والميم ووار الإشباع والهاء مما يجعله ينقل لنا ما تشعر به النفس من ثقل تصور إلزام القوم بالحجة مع عدم رغبتهم في ذلك»[5].

[1]– وهبة الزحيلي، تفسير المنير، سابق، مج 6، ج 12، ص 363.

[2]– عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 374.

[3]– ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 51.

[4]– ينظر: أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، إش: نور الدين عتر، قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في الآداب (الدراسات الأدبية)،دار المكتبي. سورية–دمشق، ط.2 1419هـ–1999م، ص 185.

[5]– ينظر: عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، سابق، ص 263–264.

"والاستفهام في أنلزمكموها وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي لا يمكنني أن أضطركم إلى الإيمان والمعرفة بها، وهي الشهادة أن لا إله إلا الله أو النبوّة والرحمة الإلاهية أو البينة، وهذا أول نص يمنع الإكراه على الدين"[1].

يقول تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة هود الآية [31].

فمن قول نوح الموجّه لقومه تتمثل الصّورة النّفسية الدّالة على تواضعه وتذلّله لله عز وجل وذلك بإخبارهم أنه "لا يدّعي ما ليس له من خزائن الله جل وعز وهي أنعامه على من يشاء من عباده وأنه لا يعلم الغيب لأن الغيب لا يعلمه إلاّ الله جل وعز ولا أقول إنّي ملك أي ولا أقول إن منزلتي عند الله جل وعز منزلة الملائكة"[2]، والغرض النفسي لهذا القول هو النفي لقوله: لا أقول لا أعلم والملاحظ في الآية أن نوح عليه السلام كرّر جملة "لا أقول" فبهذا التكرار اللفظي يجعله يزداد استقرارا في أذهان قومه مما أشار هذا التكرار كذلك إلى الحالة النفسية لنوح عليه السلام التي توحي برد الاتهام عن نفسه حين تزاحمت عواطفه وتداخلت مشاعره المسْتَثارة من قومه الظالمين.

ولنتمعّن في قوله ﴿ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾، فالمعنى النّفسي لهذه الآية تمثّل في حركة العين البادية على الكفّار وهذه الحركة عبّرت عن حالتهم النّفسية، وما كانوا عليه من حقد وغلّ للمؤمنين والملاحظ من الفعل "تزدري" أن نوح عليه السلام حذف في سياقه لهذه اللّفظة المفعول من الصلة "هم" الذي يعود على الكافرين فتقدير الكلمة "تزدريهم أعينكم" أي تحتقِرُهم و تنتقِصُهم أعيُنكم

[1] – وهبة الزحيلي، تفسير المنير، سابق، مج 6، ج 12، ص 370.

[2] – أبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، إعراب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 1429 هـ – 2008 م، ص 415.

«إرضاءًا لكبريائِكم أو مسايرة لتقديركم الأرض وقِيَمِكُم العرضِية»[1]فحذف الهاء والميم "هم" من تزدري يشير إلى ملحظٍ نفسي مما زاد سياق اللّفظ جمالًا وعذوبةً، حيث جاء الحذف إشارة لتوجيه نفوس القوم وإثبات الفعل عليهم. و كشف لنا بعداً نفسياً وهو الصّرف للنفوس المحتقِرة.

إضافة إلى ذلك نجد أن لفظ تزدري فيه إبدال، «وأصله تزتري على وزن تفْتَعِل»[2]، «إلاّ أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالاً. لأنّ اليّاء مهموسة فأبدلت منها الدال لجهرها»[3].

وبهذا نجد أن أسلوب الحذف يستخدمه المرء مما له من فوائد لغوية كالتحقيق في الكلام المقصود والإيجاز فيه لذلك نجد الشاعر يعتمد في شعره على الحذف كثيرًا للتأثير في نفس المخاطب أو القارئ من الجزء المحذوف من الكلام وذلك لتقوية المعنى في ذهنه وتصوير البعد النفسي من أسرار ودلالات ترتسم في نفسية الشاعر.

وفي قوله: ﴿ **لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ** ﴾ فهذه الآية دلّت على النفي «و جيء بالنفي يعرف "لن" الدالة على تأكيد نفي الفعل في المستقبل تعريضا بقومه لأنهم جعلوا ضعف أتباع نوح عليه السلام وفقرهم دليل على انتفاء الخير عنهم فاقتضى دوام ذلك ما داموا ضعفاء فقراء، فلسان حالهم يقول: لن ينالوا خيرًا، فكان ردّه بأن لا يقول "لن يؤتيهم الله خيرًا"»[4]، وجملة «"الله أعلم بما في أنفسهم "تعليل لنفي أن يقول لن يؤتيهم الله خيرًا ولذلك فصلت الجملة ولم تعطف ومعنى الله أعلم بما في أنفسهم" أن أمرهم موكّل إلى ربهم الذي علِم ما أودعه في نفوسهم من الخير والذي وفّقهم إلى الإيمان أي فهو يعاملهم بما يعلم منهم، وتعليقه بالنّفوس تنبيه لقومه على غلطهم في قولهم "وما نرى

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، سابق، ص 1875.

[2]– ينظر: وهبة الزحيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، سابق، مج 6، ج 12، ص 363.

[3]– ابن إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه للزّجاج، تح: عبد الجليل عبد شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ –1988م، ص 49.

[4]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 58.

لكم علينا من فضل" بأنهم نظروا إلى الجانب الجثماني الدنيوي أي الجانب المادي وجهلوا الفضائل والكمالات النّفسانية والعطايا اللّدنية التي الله أعلم بها (الجانب الروحي)»[1].

وجاء في قوله في سورة هود ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ سورة هود الآية [105]. فالكذب ذكر في الآية للدّلالة على أحوال النّفس الأمّارة بالسّوء منها نفسّية قوم نوح المكذّبة، فجاء وصفهم بالتّكذيب هنا مبالغة لتكذيبهم واستمرارهم عليه في قوله "كذّبت" فجاءت هذه لفظة مشدّدة الذال على وزن فعَّلَتْ دلالة على كثرة التّكذيب وإصرارهم عليه إذْ أنَّ «قوم نوح لم يكذّبوا إلاّ نوحا، ولكنه يذكر أنهم كذّبوا المرسلين فالرسالة في أصلها واحدة وهي دعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبودية له، فمن كذّب بها فقد كذّب بالمرسلين أجمعين»[2].

كما نرى أن لفظة "كذّبت" صيغت في الماضي ليُخبرنا الله تعالى حال أنفس الأمم الماضية (قوم نوح) وموضِعها من هذه الدّعوة، «والقوم: مؤنّثة، وتصغيرها: قويمة ونظير قوله المرسلين: والمراد نوح عليه السلام»[3].

يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ سورة هود الآية [32]، فالظاهر من سياق الآية تحدٍّ عنيف بين نوح وقومه كشف نفسيّتهم السّخيفة والشّديدة العناد عن سماع الحق لقولهم "قد جادلتنا فأكثرت جدالنا" و «الجدل في كلام العرب المبالغة في الخصومة والمناظرة مشتق من جدل وهو شِدّة القتل، ويقال للصّقر أجدل لشدّته في الطّير»[4].

[1]– ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 59.

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، سابق، مج 3، ج 19، ص 2607.

[3]– الزمخشري، تفسير الكشاف، سابق، ص 764.

[4]– أبي جعفر أحمد بن محمد بن أسماعيل النّحّاس، إعراب القرآن، سابق، ص416

و "هذا القول وقع عقب المجادلة المحكية في الآية قبل هذه، فتعين أنّ تلك المجادلة كانت آخر مجادلة جادلها قومه، ليكشفوا له مدى ضجرهم وسآمتهم من تكرار مجادلته في قولهم "فأكثرت جدالنا" خبرٌ مستعمل في التذمّر والتّضجير والتّأييس من الاقتناع"[1].

ولنتأمل قولهم ﴿ **فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ** ﴾، فآتنا بما تعدنا "أي أرادوا بهذا القول تعجيل العذاب الذي وعدهم به الله فلفظة "آتنا" تدلّ على الحركة السّريعة المستعملة للتعجيل في العذاب والتي نلمسها من المعنى الحسّي للكلمة وأشار إلى هذا أحمد ياسوف في قوله: "حسيّة المعنى المصوّر تمثل مرحلة الأولى من التأثير ومن ثَمَّ يتملّى المرء الأثر الوجداني، فحسيّة تذوّق العذاب لا تُقصد لِذاتها وكذلك حسيّة الحالات الشّعورية"[2]كما نلحظ من هذه الآية "فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين" تناغم لفظي وموسيقي أخّاذ بحيث تقديم جواب الشّرط وتأخير جملة الشرط. إذ أنّ أصل الكلام "إن كنت من الصادقين فآتنا بما تعدنا" فمن هذا السياق نُحسّ أن هناك خلل في التّناغم اللفظي لذلك قدّم الجواب على الجملة الشّرطية مع العلم أن النّسق القرآني مبني على ترتّب الألفاظ ولا يصلح فيه التّقديم والتّأخير.

وهذا التّناسق يزيد قوّة في المعنى النّفسي للألفاظ القرآنية ونلمسها من ردّ نوح عليهم بقوله: إنما يأتيكم به الله وما أنتم بمعجزين.

وعليه يمكننا أن نستنتج من هذه الآية وألفاظها مدى تأثير الدّلالة النّفسية في معانيها وتغير حركتها ودلالتها الصوتية التي زادت البيان قوّةً ووضوحًا وجلاءًا للمعنى وهذه الميزة نجدها في القرآن ولا نجدها في سواه.

[1]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 60

[2]– أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، سابق، ص 164.

ويقول تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ سورة هود الآية [35].

فالافتراء أقبح من الكذب، والافتراء في هذا الكلام «معترض في وسط قصة نوح، مؤكد لها، مقرر لها»[1]، وفي قوله "أم يقولون" «استفهام إنكاري وموقع الإنكار بديع لتضمنه الحجّة عليهم و"أم" هنا للإضراب والانتقال من غرض إلى غرض وجملة قل مفصولة عن التي قبلها لوقوعها في سياق المحاورة كما تقدم غير مرّة»[2].

وهذا يشير إلى نفسيتهم الظالمة، المصحوبة بتهمة الافتراء لنبيهم. فردّ عليهم بقوله: «إن كنت فعلته فعليّ تبعته، وأنا أعرف أنه إجرام فمستبعد أن أرتكبه وأنا بريء مما تجرمون من تهمة الافتراء إلى حوار غيرها من الشرك والتكذيب»[3].

وقد وقعت جملة "إن افتريته" شرطية بحيث «إن كان وقع الافتراء كقوله إن كنت قلته فقد عملته»[4].

أمّا لفظ "إجرامي" يشير إشارة واضحة إلى الحالة النفسية للمذنب «والإجرام: اكتساب الجرم وهو الذنب، فهو يقتضي المؤاخذة لا محالة»[5]، وذكر النحاس في شرحه لذلك أن «إجرامي: مصدر أجرم»[6]

[1]– وهبة الزحيلي، تفسير المنير، سابق، مج 6، ج 12، ص 373.

[2]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص64.

[3]– سيد خطب، في ضلال القرآن، سابق، ص 1876.

[4]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 64.

[5]– المرجع نفسه، سابق، ص 65.

[6]– أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، سابق، ص 416.

فكلمة إجرامي توحى لنا ببراءة نفس نوح منها ودليل ذلك قوله "وأنا برئ مما تجرمون". وفي هذه الجملة «توجيه بديع وهو إفادة تبرئة نفسه من أن يُفتري القرآن فإنَّ افتراء القرآن دعوى باطلة ادعوها عليه فهي إجرام منهم عليه، فيكون المعنى وأنا برئ من قولكم الذي تجرمونه عليّ باطلا»[1].

بالإضافة إلى كلمة "إجرامي" فأصل الكلام "عقوبة إجرامي" ووضوح هذا وهبة الزحيلي في تفسيره للآية "فعليّ إجرامي" مجاز بالحذف أي عقوبة إجرامي، على سبيل الفرض، بدليل استعمال كلمة "إنّ" الدّالة على الشك.

قال تعالى: ﴿ **وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ** ﴾ سورة هود الآية [38]، تمثلت الدّلالة النفسية لهذه الآية في السّخرية اللّفظية والاستهزاء بالأنفس.

والملاحظ من لفظ سخروا منه، تسخروا منا، نسخر منكم، تسخرون كلها أفعال صيغت في المضارع للدّلالة على التجدّد والاستمرار في فعل السّخرية، وهذا التجدّد «هو الذي يعطي المشهد حيويته وجدّته»[2].

فيشير لفظ "سخروا منه" إلى طبيعة نفوس قزم نوح المطبوعة على الشّر والإيذاء والكذب والتكبّر على النّاس والسّفاهة، فهذه الطبائع أثّرت تأثيرا عميقا في نفس الرّسول ممّا جعله « يخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء أنه يبادلهم سخرية بسخرية وذلك بقوله ﴿ **فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ** ﴾ لما لهذا الإخبار قوة وشدّة بالغة في الرّد على الكفرة باستعمال حرف التأكيد "إنّا"

[1] – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 65.

[2] – سيد قطب، في ظلال القرآن، سابق، مجلد 3، ص 1877.

فجاءت الجملة مؤكدة مع العلم أنه واثق وعارف ما الحكمة من هذا الرّد وذلك يوم ينكشف المستور عن المحذور »[1]، أي تحقق الوعد الذي وعدهم به الله تعالى من العذاب.

وجملة سخروا منه وقعت حالا لأنها كشفت لنا الكوامن النّفسية لحالتهم بسخريتهم اللّفظية والتهكّم كلما مروا على نبيّهم.

يقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾ سورة هود الآيتان [42] [43]

اشتملت الدّلالة النفسية لهذه الآية في عاطفة الأبوة التي تميّز بها نوح لابنه الكافر، فهذه الدّلالة أو الحالة النفسّية أثّرت في نفس نوح تأثيرا قويّا عند مناداته بيا "بنيّ" مما نلمس من هذه الكلمة معنى نفسي من الحنان والشّفقة، والملاحظ من سياق كلمة "بني" جاءت مصغّرة من كلمة "ابن" « وتصغيره هنا جاء تصغير شفقة بحيث يجعل كالصغير في كونه محل الرّحمة والشفقة، فأصله "بُنَيْو"، لأنّ أصل "ابن"، "بَنو" فلمّا حذفوا منه الواو لثقلها في آخر كلمة ثلاثية نقص عن ثلاثة أحرف فعوّضوه همزة وصل في أوله، ثمّ لما أريد إضافة المصغّر إلى ياء المتكلم لزم كسر الواو ليصير "بُنَيْويّ"، فلمّا وقعت الواو بين عدوتيها الياءين، قلبت ياءً وأدغمت في ياء التصغير فصار "بنيّي" بياءين في آخره أولاهما مشدّدة، ولما كان المنادى المضاف إلى ياء المتكلم يجوز حذف ياء المتكلم منه وإبقاء الكسرة صار بنيِّ بكسر الياء المشدّدة»[2].

فالحالة النفسية لنوح اقتضت التّصغير لهذه الكلمة "بني" الذي أشار إلى أثر نفسي من معاملة الأب الحنون لابنه.

فالأثر النّفسي في هذه المعاني كان سلبيّا حيث نسي نوح أن الحكم للحاكم فراحت عاطفته الجيّاشة الغنيّة بالانفعالات النّفسية تغلب على عقله وقلبه مناديا ابنه للنجاة معه ومع من آمنوا مع

[1]- ينظر: المرجع نفسه، سابق، مجلد 3، ص 1877.

[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 76.

علمه أن ابنه كافر ومصيره مع المغرقين والتمسنا هذا من الألفاظ المشحونة بمؤثرات نفسيّة داخليّة لقوله: "إن ابني من أهلي" «ويعتبر الحب الأبوي دافعا نفسيّا ويظهر ذلك في حب الآباء لأبنائهم، فهم مصدر متعة وسرور لهم ومصدر قوة وجاه، وعامل هام في استمرار دور الأب في الحياة وفي بقاء ذكره بعد موته»[1].

أما لفظ "سآوي" يحمل في طيّاته كثيرا من المعاني النّفسية الدّالة على خوف ابن نوح من الطوفان وعدم تصديقه لهذا الحدث، كما يدل لفظ "سآوي إلى جبل" بالارتفاع وعلو المكان وهذا ما نكتشفه من الحروف الممدودة ويشير إلى هذا أحمد ياسوف قائلا: «ويجب أن ننبّه إلى احتكامه إلى الحرف والحركة معا، فكلمة "سآوي" تصوّر لنا مشهد ذلك الابن اللّامبالي المتعجرف الذي يردّ نصيحة أبيه بتراخ وفتور»[2]، ومنه نقول أن المدّ في "سآوي" زاد قوة بالغة في المعنى لما فيه من دقة في التعبير وجمالية في التصوير.

يقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ سورة هود الآيات [45]، [46]، [47].

فحزن وحسرة نوح على ابنه واضحة من سؤاله لله تعالى، فأثر الفجعة الذي بقي في نفس نوح لغرق ابنه دفعه إلى سؤال ربّه لقوله "إن ابني من أهلي" فالملاحظ من هذه الآية «خبر مستعمل في

[1]- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، سابق، ص 78.

[2]- ينظر: أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، سابق، ص 227 – 228.

الاعتذار والتمهيد، لأنه يريد أن يسأل سؤالا لا يدري قبوله ولكنه اقتحمه لأن المسؤول له من أهله فله عذر الشفقة عليه، وتأكيد الخبر ب "إنّ" للاهتمام به»[1].

واعتذار نوح يشير إلى النّدم والذي هو «حالة انفعالية تنشأ شعور الإنسان بالذنب وأسفه على ارتكابه، ولومه لنفسه على ما فعل، وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك، ولوم الإنسان لنفسه وندمه على ما فعل من العوامل الهامة في تقويم شخصية الإنسان ودفعه إلى تجنّب الأفعال المشينة وارتكاب الذنوب التي تسبِّب له الندم ولوم النّفس»[2]، وعليه فندم نوح وحسرته على ما فعله من خطأ دليل نفسي لتخطّي الذنب الذي ارتكبه نوح نحو خطوة إيجابية ألا وهي التوبة من هذا الخطأ وعدم العودة له وذلك بعد ما ردّ عليه ربه في قوله: ﴿ **قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ** ﴾ سورة هود الآية [46].

أي «أنهاك أن تكون من فئة الجاهلين الذين يطلبون إبطال حكمته وحكمه وتقديره، وأحذّرك أن تكون من الآثمين»[3]، فطلب نوح المغفرة من ربه قائلا: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ** ﴾ سورة هود [47]

فمن طلب نوح نرى أنه قدّم لفظ المغفرة على الرّحمة لقوله "إلاّ تغفر لي وترحمني" فطلب المغفرة أولا «ليس بمعصية كمعصية آدم وإنما فهم نوح أنّ ابنه يدخل مع أهله الناجين، فبيّن الله أنه ليس من أهله لأنه كافر، مغفرة لما سأل»[4]، ثم إن طلب المغفرة «كان من باب التّخلية قبل التّحلية ثم أعقبها بطلب الرحمة "وترحمني" لأنه إذا كان بمحل الرضى من الله كان أهلا للرحمة»[5].

---

[1]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 84.

[2]– محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، سابق، ص 106 – 107.

[3]– ينظر: وهبة الزحيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج 6، ج 12، ص 391.

[4]– ينظر: فاضل صالح السّامرائي، التعبير القرآني، دار عمّار – عمّان، ط.4 –1427هـ–2006م، ص 163 – 164.

[5]– ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 12، ص 88.

وجاء في قوله تعالى على لسان نوح: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ سورة نوح الآية [07].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ سورة نوح الآية[22]، فمن قراءة الآية نلاحظ أن فيها تناغما لفظيا وتناسق فني للألفاظ مثلا: دعوتهم، تغفر لهم، أصابعهم، آذانهم، ثيابهم.

إذ عبرت هذه الألفاظ بأجمل تعبير وأدقّه كقوله "جعلوا أصابعهم في آذانهم" فمن هذه الآية نكتشف معنى نفسيا لنوح عليه السّلام وذلك بعد تأثّره من قومه واصفا إيّاهم بالمبالغة عن الإعراض وذلك بجعل كل الأصابع في الأذن وهذا تعبير مجازي إذ المراد من قوله «أن الذي يجعل في الأذن الأنملة أي جزء من الأصبع لا الأصبع كله فعبّر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سدّ المسامع.... لو أمكنوا لأدخلوا الأصابع كلها»[1]، ومن هذا المشهد نستنتج حالتين، الأولى: نفسية نوح المتأثرة من إعراضهم وإصرارهم على الكفر لما جعلوه لوصفهم بالمبالغة، والحالة الثانية: نفسية القوم التي تسعى إلى سدّ هذا الأثّر النفسي بإغلاق آذانهم وتغطية رؤوسهم كرها لرؤيته واستكبارهم خوفا من تأثرهم بالدعوة.

كما نلحظ من قوله "استكبروا استكبارا"، "ومكروا مكرا كبّارا"، والاستكبار والمكر من الظواهر السلبية المنبعثة من النفس الإنسانية والاستكبار والمكر في هذا الموضع وقع رفضا للدعوة.

وقد ورد لفظ "استكباراً" و مكراً" «مصدرا للتّأكيد وهو ما يسمى بالإطناب»[2]، وهذا تأكيد على فعلهم من التكبّر إذ يشير بنا إلى بعد نفسي عميق، وهو صدمة سيدنا نوح من إعراض قومه له وتكذيبهم ومكرهم وصدّهم لنور الهدى، وهذا ما جعله يأكّد في كلامه حال قومه وما هم عليه من استكبار عظيم ومكر عجيب.

[1]– ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، سابق، ج 29، ص 195.

[2]– وهبة الزحيلي، تفسير المنير في العقيد والشريعة، سابق، مج 15، ج 29، ص 150.

وفي الأخير نستخلص أن الدّلالة النفسية في قصة نوح إعجاز نفسي في غاية الرّوعة والجمال، لما تشير هذه الدّلالات من انفعالات وجدانية تترك أثرها في المعنى مما تزيده قوة في الوضوح من حيث طريقة نسقه وسياقه الذي يشكّل بالتالي وحدة انسجامية من حيث الدّقة والبيان والقوة من حيث الإثارة والتأثير.

خاتمة

خاتمة:

لحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات والصلاة والسلام على من أكمل به الدّين الحنيف، فقد منّ الله عليّ بفضله وكرمه أن أتم هذا البحث الذي تناولت فيه دراسة الدّلالة النفسية في ظل القرآن الكريم وأثرها في تقوية المعنى قصة نوح أنموذجا من وجهة نظر دلالية، وإن وقع تقصير فيه فهذا مبلغ علمي فأسأل الله أن يزيدني علما ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ سورة طه [114].

وفي خاتمة هذا البحث خلصت إلى النتائج التالية:

1) أن القرآن الكريم كتاب الله الخالد والذي له وقعٌ خاص في نفوس سامعيه.
2) أن الدّلالة النفسية عبارة عن ملامح وإشارات تنعكس على النّفس الإنسانية محدثة استجابة معينة.
3) أن القصة القرآنية لها دور كبير في إظهار الجوانب النفسية.
4) أن المعنى النفسي أحد أهم المعاني التي يمكن التماسها من آيات وألفاظ القرآن الكريم.
5) أن للدلالة النفسية أثر عميق في نفسية المتلقي ويكون هذا التأثير من خلال المعاني التي تصدر من المتكلم.
6) أن الجانب الصوتي والسياقي للألفاظ له الدور الأكبر في مجال الدّلالة النفسية.
7) من أجل تعديل السلوك الإنساني يجب على المتكلم استخدام مجموعة من الأساليب الفعّالة في النفس كأسلوب الترهيب والترغيب وأسلوب التدرج.
8) أن الدّلالة النفسية لا تفهم بمجرّد النطق فقط، بل تفهم كذلك بالإشارات والحركات التي بدورها تقوم مقام اللغة.
9) أن الجانب النفسي في التعبير القرآني هو الجانب الذي يناسب البشرية جميعا إذ لغة النفس يفهمها كل مخلوق بغض النظر عن لغته.

10) كشف لنا البحث عن جهود القدامى في ميدان الدّلالة النفسية مع أنه لم يكن همها الأول إلا أننا وجدنا له حضور في ثنايا تفسيراتهم.

11) أن الدّلالة النفسية تترك في المعنى أثرا قويا مما تجعله يأثر في النفوس من حيث نظمه ودقته في التعبير ونسقه الأخاذ.

وختاما فإني لا أدّعي أنني أعطيت هذا الموضوع حقّه أو وفّيته ما يستحق ولكن حسبي أنني بذلت جهدي وأفرغت وسعي مع قلة بضاعتي، فإن أصبت فلله الحمد والمنة، وإن أخطأت فأسأله تعالى العفو والمغفرة وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الملاحق

الملحق رقم (01):

سورة: هود

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَد أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا
مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن
فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ
لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ
يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ
أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن
يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ

بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا
مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ
﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا
وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٖ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ
وَكَانَ فِي مَعْزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ
يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ
وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدٗا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ
فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن
تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٞۖ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

سورة: الأعراف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾

سورة: نوح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ

ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ
وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ
أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ
ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا
١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ
عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ
وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن
تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن
دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨

صدق الله العظيم

فهرس الآيات والأحاديث

فهرس الآيات

الآيـــة	السورة	رقمها	الصفحة
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ	البقرة	09	11
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ		10	11
﴿.... يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ....﴾		19	26
﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾		44	15
﴿.....قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾		258	20
مذكورة في الملحق	الأعراف	64 - 59	73
﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ... ﴾	الأنفال	10	23
﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ	التوبة	02	23

بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾			
﴿...تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ...﴾	يونس	27	25
مذكورة في الملحق	هود	25 إلى 49	72 - 71
﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾	يوسف	16	22 -14
﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾		84	24
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾		86	24
﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾		96	24
﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾		111	30
﴿ ....جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ....﴾	إبراهيم	09	26

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾	الإسراء	37	28
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا....﴾	الكهف	42	25
﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾		82	13
﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾		64	30
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾	مريم	04	14
﴿ وَوَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾		05	19
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾		29	27
﴿....إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾		58	24
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾	طه	131	21

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾	المؤمنون	27	34
﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾		104	24
﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾	الفرقان	27	26
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾		63	28
﴿إِنۡ أَنَآ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾	الشعراء	115	52
		118	
﴿فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾	القصص	12	52
﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾		25	27

﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾	لقمان	19	28
﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾	الأحزاب	19	21
﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ	الصافات	75	34
وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾		76	34
﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾	غافر	19	20
﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ... ﴾	الشورى	45	22
﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ	الملك	09	12
﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ	القلم	51	21

﴿لَمَجۡنُونٌۢ﴾			
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ	الحاقة	11	34
لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾		12	34
مذكورة في الملحق	نوح	28 - 01	73 - 70
﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٌ	عبس	38	25
ضَاحِكَةٌ مُّسۡتَبۡشِرَةٌ﴾		39	25
﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾	الضحى	09	13

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
«الدّين النّصيحة، قلنا لمن يا رسول الله قال لله ورسوله ولكتابه والأئمة المسلمين عامتهم»	53

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب والتفاسير:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، ط.5.
2. ابن إسحاق إبراهيم بن السّري، معاني القرآن وإعرابه للزّجاج، تح: عبد الجليل عبد شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ –1988م.
3. ابن الكثير، تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، تع: غنيم عباس بن غنيم، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، السعودية – جدة، مكتبة التابعين، القاهرة، ط.1، 1419 هـ - 1998م.
4. ابن حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط.3، 1404هـ-1984م.
5. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت.
6. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ثلاث رسائل في إعجاز القران (من بيان إعجاز القرآن)،دار المعارف بمصر، ط.3.
7. أبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تع: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3، 1430 هـ- 2009م.
8. أبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، إعراب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 1429 هـ - 2008 م.
9. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1365هـ - 1946م، ج 29.

10.أحمد نعيم الكراعين، علم الدّلالة، المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت، ط.1، 1413هـ – 1993م.

11.أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، إش: نور الدين عتر، قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في الآداب (الدراسات الأدبية)،دار المكتبي.سورية–دمشق، ط.2 1419هـ–1999م.

12.أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، نابلس، فلسطين، 2010/10/20 م.

13.التهامي النقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر،1971م،الشركة التونسية للتوزيع.

14.جميل حمداوي، ثلاث نظريات النقد الأدبي (في مرحلة ما بعد الحداثة)، شبكة الألوكة.

15.حامد صادق القنيبي، مباحث في علم الدلالة و المصطلح، دار الجوزي، الأردن– عمان، ط.1، 1429هـ–2005م.

16.الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط.

17.الرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ؛ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام دار المعارف – مصر، ط.3.

18.سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق للنشر، القاهرة، ط.10، 1408هـ – 1988م.

19. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق أسّسها محمد المعلّم عام1968م- القاهرة. بيروت، الطّبعة الشّرعية الأولى1972م.

20. عبد الرحمان محمد العيسوي، في علم النفس البيئي، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1997م.

21. عبد الكريم عثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين (و الغزالي بوجه خاص)، مكتبة وهبة للنشر، ط.2، 1401هـ - 1981م.

22. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية، ط.1، 1418 هـ – 1997م.

23. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن المحسن، دار هجر، ج.1.

24. فاضل صالح السّامرائي، التعبير القرآني،،دار عمّار – عمّان،ط.4 -1427هـ- 2006م.

25. فاطمة البريكي، قضية التلقّي في النقد العربي القديم، دار العلم العربي،ط.1،2006م،

26. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، التفسير الوسيط للقران الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مجلّد من(10-8).

27. محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ط.1.

28.محمد الشّريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان – بيروت، ط. جديدة، 1985م.

29.محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ط.1.

30.محمد عثمان النّجاتي، القرآن وعلم النّفس، دار الشروق.القاهرة،ط7،1421هـ-2001م.

31.محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح – الأردن، ط.2001م.

32.محمد متولي الشّعراوي، خواطري حول تفسير القران الكريم (تفسير الشّعراوي)، الناشر: أخبار اليوم، 1991م.

33.محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى(أنظمة الدلالة في العربية)،دار المدار الإسلامي 2007م، ط.2،2007م.

34.محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر.

35.محمود سليم هياجنة، الصورة النّفسية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن-جدار للكتاب العالمي، عمان- الأردن، ط.2.

36.مرشد أحمد، البنية والدّلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسّسة العربية للدراسات، بيروت، دار فارس، عمان،ط.2، 2005م.

37.مها حسن القصراوي، الزّمن في الرّواية العربية (نقد أدبي) ،المؤسّسة العربية ، بيروت، دار الفارس، عمان، ط.1،2004 م.

38.وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشّريعة و المنهج، دار الفكر، دمشق-لبرامكة، ط.1، 1430هـ – 2009م.

المذكرات:

1. إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى، الانفعالات النّفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، إ ش: عودة عبد الله وسمية عبد القادر، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين، 2009 م ، ص122.

2. أحمد حمو مزعل، علم الدلالة، علم المعاني و الإدراك الصوتي، بحوث و دراسات منوعة، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية.

3. أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، نابلس، فلسطين، 2010/10/20 م،.

4. عقيل عكموش عيد، الدلالة النفسية في سورة مريم، جامعة القادسية، مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية، العددان (3-4) المجلد (6) 2007م.

5. علي طاهر عبد السلام، القصص القرآني (دراسة لأسلوب القصص القرآني)، قصة يوسف عليه السلام نموذجا.

6. كائنات محمود عدوان، التحديات المواجهة للدعوة من خلال سورة نوح "عليه السلام"، محاضرة غير متفرغة بقسم الدراسات الإسلامية، الجامعة

الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، 7 – 8 ربيع الأول 1426 هـ – 16 أفريل 2005 م.

7. محمد جعفر محيسن العارضي، الدّلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، مذكرة دكتوراه، إش: حاكم مالك الزيادي، كلية الآداب بجامعة القادسية، 1423هـ – 2002م.

المواقع الإلكترونية:

1. سمر أرناؤوط، قبسات من روائع البيان، سورة مريم.
الموقع:vb.tafsir.net

2. مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية، النقد والفن،
الموقع: www.aldohamagazine.com

فهرس الموضوعات

الفهرس	الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
ملخص البحث	
Résumé du recherche	
مقدمة	أ
تمهيد	05
المبحث الأول: ماهية الدّلالة النفسية	
المطلب الأول: مفهوم الدلالة النفسية	09
المطلب الثاني: الدلالة النفسية والعوامل المؤثرة فيها .	12
المطلب الثالث: الاتصال اللفظي وغير اللفظي ودوره في إبراز الدلالات النفسية	18
المبحث الثاني: استقراء الآيات واستخراج الدّلالات النّفسية من قصة نوح عليه السلام وتبيان أثرها في المعنى.	
المطلب الأول: القصة القرآنية (قصة نوح عليه السلام).	30
المطلب الثاني: استقراء الآيات واستخراج الدلالات النفسية للقصة.	38
المطلب الثالث: أثر الدّلالة النّفسية في تقوية المعنى.	48
خاتمة	67
الملاحق	70
فهرس الآيات والأحاديث	75
قائمة المصادر والمراجع	82
فهرس الموضوعات	89